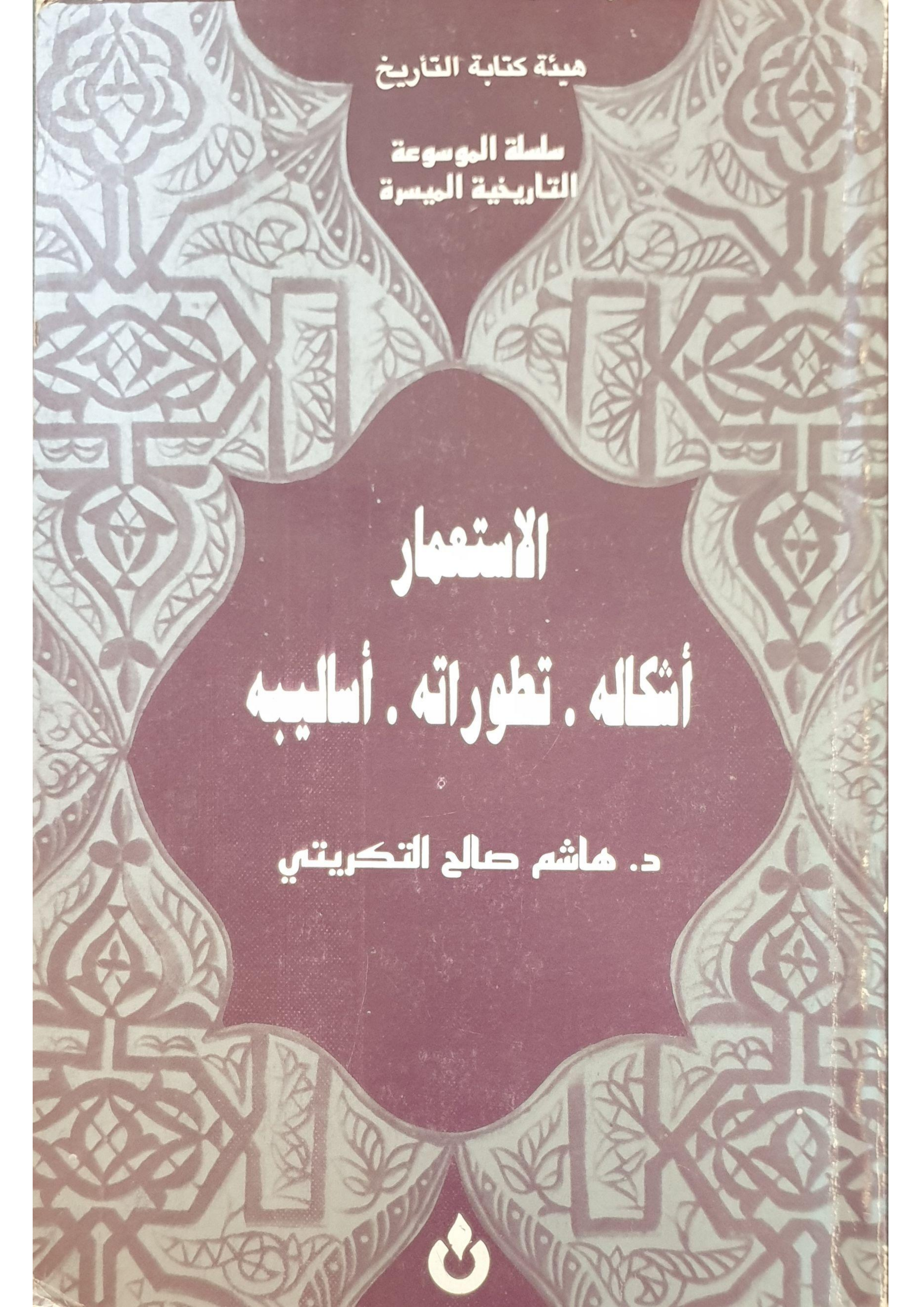


هيئة كتابة التأريخ
سلسلة الموسوعة
التاريخية الميسرة
الاستعمار
أشكاله . تطوراته . أساليبه
د. هاشم صالح التكريتي



وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة

الطبعة الاولى ـ ١٩٨٩



طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة • « آفاق عربية »
رئيس مجلس الادارة:
الدكتور محسن جاسم الموسوي

تعنون جميع المراسلات
باسم السيد رئيس مجلس الادارة
العنوان ـ بغداد ـ أعظمية
ص٠ب ٤٠٣٢ ـ تلكس ٢١٤١٣ ـ هاتف ٤٣٦٠٤٤

هيئة كتابة التأريخ

الموسوعة التاريخية الميسرة

الاستعمار

اشكاله تطوراته اساليبه

د . هاشم صالح التكريتي

الطبعة الاولى - لسنة ١٩٨٩

مقدمــــة

« يوجد في الاستعمار أيضاً ـ الى جانب هذه النقاط السالبة القاتمة السواد ـ نقاط موجبة ناصعة البياض . ألم يحيي الاستعمار الكثير من الاراضي الزراعية . ألم يدخـل أنواعاً جديدة من أصناف المزروعات لم تكن معروفة من قبل . ألم يقم بانشاء شبكة للمياه . ألم يدخل طرقاً زراعية حديثة . ألم يكتشف بعض الثروات الطبيعية التي كانت مدفونـة في باطن الارض . ألم ينشيء بعض الصناعات ، وإن كان بنسبة ضعيفة حقاً . ألم يبن الاستعمار المدن والمرافيء . ألم ينشيء سبل المواصلات من طرق معبدة الى خطـوط حديدية . ألم يقم الاستعمار بكثير من الدراسات الجيولوجية والجغرافية والاقتصادية والبشرية التي لا تزال تعتبر مرجعاً أساسياً الى الآن . ألم يكوّن الاستعمار نخبة ثقافية وفنية . ألم يؤلف الاستعمار أخيراً لا آخراً صدمة نفسانية ـ بصورة غير ارادية

طبعاً ـ أيقظت الشعوب الخاضعة لنيره من سباتها العميق . »[1]

قد يظن القارىء الكريم ان هذا الكلام هو لأحد دهاقنة السياسة الاستعمارية أورده ليدافع به عن سياسة دول الاستعمار الرامية الى استعباد الشعوب واستغلالها أو لأحد مفكري الاستعمار يهدف من ورائه الى تبرير الاستعمار والدفاع عن جرائمه . لو كان كذلك لهان الامر ولعلمنا الدافع الحقيقي الكامن وراءه . ولكن المؤسف بل والمؤلم حقاً أن يصدر هذا القول من أحد المثقفين العرب الذين أتيحت لهم الفرصة لأن يبلغوا من العلم والثقافة شأواً بعيداً أورده بعد أن عدّد بعض مساوىء الاستعمار وأدان بعض ممارساته بحجة الالتزام بالعلمية والموضوعية .

ان ذلك ليقنعنا بأنه ما زال بين ظهرانينا نحن الذين اكتوينا بنار الاستعمار وقاسينا الاهوال من فظائعه من تنطلي عليه مزاعم الذين يدافعون عنه ويبررون جرائمه ، ولهذا فاننا ما نزال بحاجة الى المزيد من دراسة الاستعمار والتعمق فيه لاظهار حقيقته البشعة التي يحاول المدافعون عنه تمويهها

---

(١) جان ديبوا ، الاستعمار الايطالي في ليبيا. طرقه ومشاكله، ترجمة الدكتور هاشم حيدر ، بنغازي ١٩٦٨ ، تمهيد للمترجم ص٨-٩ .

على الجماهير . ان الاعمال « الايجابية » التي يحاول البعض أن يبرزها ويؤكد عليها عاداً إياها من فضائل الاستعمار ونعمه على الشعوب لم تكن الهدف الاساس الذي سعى لاجله المستعمرون في مستعمراتهم وإنما كانت ناتجاً عرضياً للسيطرة الاستعمارية التي توخوا من خلالها استغلال المستعمرات واستعبادها ، قاموا بها لخدمة مصالحهم وتسيير عملية الاستغلال التي مارسوها هناك ولم تؤثر ايجابياً في الاحوال المزرية التي ظلت شعوب المستعمرات ترزح تحت نيرها . لقد اعترف أحد التقارير الشهرية لسلطات الاحتلال الفرنسي في الجزائر في ١٨٤٧ أي بعد أن قضت القوات الفرنسية على المقاومة الجزائرية بقيادة عبدالقادر الجزائري وباشرت لتوها بعملية استغلال الجزائر بحقيقة الدور الذي قام به الفرنسيون في الجزائر عندما ذكر « ... اننا جعلنا المجتمع الاسلامي أكثر فقراً وأكثر جهلاً وأكثر بربرية وافتقاراً الى النظام مما كان قبل أن يعرفنا »[٢] . وبالامكان ايراد عشرات بل مئات الامثلة التي تظهر حقيقة النتائج التي أفضت اليها السيطرة الاستعمارية في المستعمرات ولكننا نكتفي بالامثلة الثلاثة الآتية اختصاراً للجهد والوقت أولاً ، وثانياً لاننا نعتقد بأنها

---

(٢) نقلا عن : غي دو بوشير ، تشريح جثة الاستعمار ، ترجمة ادوار الخراط ـ دار الآداب ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص٢٧٠

كافيـــة لان تدحض بشـكل قاطع ما يدعيه المدافعـون عـن الاستعمار من ان له جوانب ايجابية ، منها تطـوير البلدان التي تخضع لسيطرته ٠

المثل الاول من سيراليون وهو قطر افريقي كان خاضعاً للاستعمار البريطاني واستقل في عام ١٩٦٠ ، حيث لم يكـن يوجد عام ١٩١٤ في جميع سـيراليون إلا خمسـة وعشرون شخصاً ممن يعمل في الخدمات الطبية قل عـددهم في ١٩٣٦ فأصبح واحداً وعشرين شخصاً فقط ٠ وكانت نسبة الوفيات هناك عالية جداً ولا سيما بين الاطفال حيث كان يموت ما بين ٣٠٠ الى ٤٠٠ طفل من كل ألف دون أن يكملوا السنةالاولى من العمر في المناطق الداخلية من القطر ٠ أما في فريتاون وهي العاصمة فقد ظلت نسبة الوفيات أكثر من نسـبة الـولادات طيلة احدى وعشرين سنة من الخمس والعشرين سـنة التي أعقبت الحرب العالمية الاولـى (من ١٩١٩ الى ١٩٤٣)[٣] ٠ وبالمقابل حصل الانجليز من سيراليون في أثناء الحرب العالمية الثانية وما بعدها حتى نهاية الخمسينيات على بضائع وخدمات دون مقابل قيمتها ٦٠ مليون جنيه استرليني ، ولكي تتصور جسامة هذا المبلغ نذكر انه يزيد على مجموع الميزانيةالسنوية

---

(3) W.N. Prihytkovskiy, W.A. Fridman, Serra-Leone. V- Akademiya Nauk SSSR Institut Afriki, Noveyshaya Istoriya Afriki, Moskva 1968, str. 305.

للقطر بمقدار ٨ ــ ١٠ مــرات • وفي الفترة من ١٩٤٥ الــى ١٩٦٠ ربحت بريطانيا من سيراليون أكثر من مائة مليونجنيه سترليني وهو مبلغ يزيد بمقدار ٣٠ــ٤٠ مرة على متوسط ما يوظف سنوياً من رأسمال في جميع فروع اقتصاد القطر(٤) •

والمثل الثاني من غينيا البرتغالية فقد كان يمــوت مــن سكانها في ظل السيطرة البرتغالية ما بين ١٨٠ و٢٠٠ طفل من كل ألف طفل قبل أن يصلــوا الى الشهر الحادي عشــر من عمرهم ، ولم يكن يوجد إلا طبيب واحد لكل ٢٨ ألف مــن السكان ، وبعد خمسمائة عام من السيطرة البرتغاليــة ظلت نسبة الامية بين السكان ٩٩٪ ، وطيلة هذه المدة لم يحصــل على التعليم الجامعي من الاهالي إلا ١٤ شخصاً فقط(٥) •

أما في الكونغو ومنها المثل الثالث فقد أهملت الادارة الاستعمارية التعليم الفني والعالي اهمالاً تاماً بحيث لم يكن للتعليم العالي وجود أصلاً ، وفي الكونغو بأجمعه لم يكــن يوجد في ١٩٥٨ إلا خريج جامعة واحد من السود(٦) •

---

(4) Ibid. P. 307.

(5) I.A. Gemin, "Portugalskaya Gvineya o-va Jelenovo mysa o-va San-Tome i Prinsipi" v Akademiya Nauk SSSR, Institut Afriqi, Noveyshaya Istoriya Afriki, Moskva 1968, str. 379.

(٦) غي دو بوشير ، المصدر السابق ، ص٣٧٨ــ٣٧٩ •

تلك هي الآثار الحقيقية التي تركتها السيطرة الاستعمارية في البلدان التي ابتليت بالاستعمار وتلك هي النتائج التي يحاول المدافعون عن الاستعمار اخفاءها بنشرهم المزاعم عن « ايجابيات » السيطرة الاستعمارية و«فوائدها» •

ان انطلاء هذه المزاعم على بعض الناس ومنهم أشخاص متعلمون ومثقفون وفهم هذا البعض المخطوء للاستعمار من جهة والبلبلة والارتباك اللذين يسببهما استخدام كلمة استعمار في البحوث والدراسات العربية في غير معناها في بعض الاحيان من جهة أخرى هو ما دفعنا الى كتابة الصفحات التالية التي حاولنا أن نحدد فيها مدلولات المصطلحات المختلفة المستخدمة للدلالة على مختلف أشكال السيطرة الاستعمارية وما يرتبط بذلك من تطورات وأساليب بشكل عام وأملنا أن تحقق الهدف المرجو منها فتسهم في تبصير أبناء شعبنا العربي بحقيقة الاستعمار ودوافع السيطرة الاستعمارية وأشكالها فتعزز بذلك حصانة الجماهير العربية ضد مخططات الاستعمار وأساليبه •

والله الموفق •

الدكتور هاشم التكريتي

الاســـتعمار

أشــكاله تطـوراته أســاليبه

كثيراً ما تستخدم كلمة « استعمار » في الكتب والبحوث والدوريات والصحف العربية للتعبير عن مفاهيم متنوعة تختلف عن بعضها تمام الاختلاف الامــر الذي يؤدي الى البلبلــة والغموض ويشيع الالتباســ لدى القارىء ، فهي تستخدم للدلالة على : الـ Colonization و الـ Colonialism والـ Imperialism والـ Neoco'onialism ، وطبيعي ان لكل من هذه المصطلحات مدلوله الذي يختلف عن المدلولات الاخرى .

فالـ Colonization (من الكلمة اللاتينية Colonia التي تعني استيطان أو اسكان) أو ما يطلق عليه في العربية في بعض الاحيان « الاستيطان » أو « الاستعمار الاستيطاني »

هو نزوح السكان من منطقة أو بلد معين الى منطقة أخرى أو بلد آخر وتاسيسهم لمستوطنات جديدة هناك واستغلالهم للارض الجديدة . وهو بهذا المعنى موجود في كل العصور وهناك الكثير من الامثلة عليه سواء من العصور القديمة كالمستعمرات الفنيقية واليونانية والرومانية التي كانت اما مستقلة عن المتربول[1] أو ان سكانها يعيشون في الوضع نفسه الذي يعيشه سكان المتربول ، أو من العصور الوسطى كهجرات القبائل الجرمانية في اوربا وهجرة الفلاحين الاقنان تخلصاً من استغلال الاقطاعيين ، ونزوح الاقليات الدينية تخلصاً من مطاردة الكنيسة ومحاكم التفتيش والدولة والحروب الصليبية التي هي في الواقع مشاريع استيطان أوربية في الوطن العربي حيث حول الصليبيون الاراضي التي احتلوها في بلاد

---

(١) من الكلمة اليونانية Mètrópolis المركبة من كلمتين هما Meter وتعني أم و Polis وتعني مدينة ، وكان هذا المصطلح يطلق في العهد اليوناني على المدن الاغريقية التي كانت تتبعها مستعمرات علماً بأن تلك المدن لم تكن تتمتع بسلطة مباشرة على مستعمراتها وكان دورها يقتصر في الغالب على دور الحكم في حالة وقوع نزاعات بين تلك المستعمرات . وقد أصبح المصطلح يعني في العصر الحديث الدولة التي لها مستعمرات تتبعها فيما وراء البحار وهذا هو المعنى الذي نقصده بهذا المصطلح عندما سيرد ذكره في الصفحات التالية علماً بأن المصطلح هذا يطلق في بعض الاقطار مثل كندا على المدينة الرئيسة في المنطقة كما انه يستخدم في حالات قليلة للدلالة على العاصمة في دولة ما .

الشـــام الى مستعمرة بالمعنى الـــذي يعطى لهذه الكلمـــة في الوقت الحاضر استقر فيها النبلاء والفرسان والبرجوازيـــون على النحو الذي حصل خلال عمليات الاستيطان في العصـــر الحديث • ويجب أن نلاحظ بانه وجد في العصور الوسطى ، الى جانب النزوح والاستيلاء على اراضي جـــديدة وتأسيس المستعمرات فيها ، نوع آخر من الاستيطان يمكن أن تطلـــق عليه تسمية « الاستيطان الداخلي » ونعني به الانتشـــــار التدريجي الذي قد يستمر لعدة قرون واستصلاح الاراضـــي البكر الخالية في البلد نفسه من قبل ســـكان البلد أنفســـهم وذلك بانتقال قسم منهم تدريجياً من أماكن سكناهم السابقة الى الاماكن الجديدة • وقد جرى هذا الاستيطان الداخلي في بعض الاحيان عبر عملية استعادة أراضي البلد من المحتلين الاجانب • وقد انتشر الاستيطان الداخلي في اوربا انتشـــاراً واضحاً في أواخر العصور الوسطىفازدادت الاراضي المزروعة على حساب الغابات والمستنقعات وشجع الاقطاعيون عمليات استصلاح اراضٍ جديدة واستغلالها بهدف زيادة مدخولاتهم وتوسيع مجـــال سلطتهم والحصـــول على الامتيـــازات في المستوطنات الجديدة التي يؤسسها الفلاحـــون والحرفيون ، ولكن الدور الحاسم في عملية الاستيطان الداخلي هذه يبقى مع ذلك للفلاحين الذين كانوا يستصلحون الارض ويعمرونها بقوة سواعدهم والذين لم يكن الاستيطان الداخلي بالنســـبة

لهم رسيلة لزيادة حجم استثماراتهم فقط وانما أيضاً وسيلة لتخفيف بعيتهم الاقطاعية ذلك انهم كانوا يستغلون الاراضي الجديدة التي عمروها اما بشروط تتضمن بعض الامتيازات التي لم يكونوا يتمتعون بها في السابق واما على شكل ملك حر ، هذا على الاقل في البداية ذلك ان الاقطاعيين استطاعوا في النهاية فرض سلطتهم كاملة في أغلب الحالات على المستوطنات الجديدة أيضاً •

أما في العصور الحديثة فعلى الرغم من ان الكثير من أقطار آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية قد تحولت بطريق الاكراه الاقتصادي والعسكري الى مستعمرات بالمعنى الذي يعطى لهذه الكلمة في الوقت الحاضر وأصبحت موضوعاً للاستغلال الرأسمالي على النحو الذي سنراه في حديثنا عن « الكولنيالز » فان الاستعمار الاستيطاني لم يتوقف ، بل واصل المهاجرون على امتداد العصور الحديثة اقامة المستعمرات الاستيطانية في المناطق الجديدة التي نزحوا اليها وغالباً ما كانت المستوطنات الجديدة تصبح مستعمرات خاضعة بالمعنى الكولنيالي للبلد الذي قدم منه مؤسسوها • ومن الامثلة النموذجية على ذلك المستعمرات التي أقامها الاوربيون في امريكا وكذلك الاستعمار الاستيطاني الذي مارسه الانجليز في استراليا ونيوزيلندا والانجليز والهولنديون في

جنوب افريقيا • لقد جرت عمليــة الاستعمار الاستيطاني في
هذه الاقطار من خلال هجوم واسع شنه القــادمون الجــدد
على سكان البلاد الاصليين كان من نتيجته ان افني أصحــاب
البلد الاصليون وأبعدت الاعداد القليلة جداً التي بقيت منهم
الــى اراضٍ غير صالحــة واستولى القادمون الجــدد على
أراضيهم • ذلك ما حدث للهنود الحمر في امريكا وللافارقــة
والاستراليين • وتعد الولايات المتحدة مثلاً نموذجيــاً على
ذلك حيث أصبح القادمــون اليها من الخــارج وأحفادهــم
يؤلفون الاغلبيــة الساحقة من سكانها وتضــاءل ســكانها
الاصليون وكادوا ينعدمون ، حتى ان عمليــة الاستيطان في
الولايات المتحدة أصبحت تحتــل جزءاً كبيراً من اهتمــــام
المؤرخين الامريكان الذين حاول بعضهم أن يوضــح قوانين
التاريخ الامريكي استناداً الــى عملية استيطان المســاحات
الهائلة من الاراضي غير المزروعة في الغرب وعدّوا التوســع
شرطاً ضرورياً لتطور الولايات المتحدة • وعلى الرغــم مــن
المعلومات القيمــة التي أوردها هذا الفريق من المؤرخــين
الامريكان عند بحثهم مسألة الاستيطان فالملاحظ انهم يؤكدون
على الصورة الزاهية له ويتجاهلون حقيقة مهمة هي ان الارض
التي يسمونها « خالية » تعود في الواقع للهنود الحمــر كما
انهم يغفلون مسائل مهمة كان لها تأثيرها في عملية الاستيطان
كالثورات والعــلاقات بين الفئات والطبقــات الاجتماعيــة

المختلفة • وعلى الجانب الآخر تمتاز نظرة الكثير من المؤرخين الامريكان المعاصرين الى الاستيطان بقدر أكبر من العلمية والموضوعية ذلك انهم يبحثون القضية بالارتباط مع مشكلة أوسع هي أساليب تطور الرأسمالية في الزراعة في الولايات المتحدة ويؤكدون أهمية الاستيطان بالنسبة لسيادة الاسلوب الرأسمالي في هذا الحقل من حقول الاقتصاد ويعترفون بعمليات الابادة التي مارسها المستوطنون ضد القبائل الهندية ويشيرون أيضاً الى ان الاتجاه الى الغرب للاستيطان كان متنفساً خفف من التناقضات الاجتماعية الحادة في مناطق الاستيطان القديمة أي المناطق الشرقية من الولايات المتحدة•

والاستعمار الاستيطاني موجود أيضاً في الفترة المعاصرة ويعد الكيان الصهيوني والحكم العنصري في جنوب افريقيا من أبرز الامثلة عليه في أيامنا الحالية •

أما الـ Colonialism أو ما سنطلق عليه في دراستنا هذه اسم » الكولنيالية « فهو الاستغلال والاضطهاد السياسي والاقتصادي والنفوذ الثقافي اللذان تتعرض لهما بلدان هي عادة أقل تطوراً في المجالات الاقتصادية والاجتماعية من قبل الطبقات السائدة في الدول المستعمرة (بكسر الميم) • والمستعمرات بالمعنى الكولنيالي لهذه الكلمة هي المناطق والاقطار الواقعة تحت سيطرة دولة ما (متربول) والمجردة من

الاستقلال السياسي والاقتصادي والتي تحكم بموجب نظام خاص تطبقه المتربولات فيها • ووسيلة المتربولات في فـرض سيطرتها على الاقطار المستعمرة (بفتح الميم) هي « السياسة الكولنيالية » وهي سياسة الاستعباد والاستغلال عـن طريق الاكراه العسكري والسياسي والاقتصادي للاقطار والمناطـق التي يقطنها في الغالب سكان من أمم أخرى والتي هي عـادة أقل تطوراً من الناحية الاقتصادية •

والـ Colonialism أو الكولنيالية موجودة أيضاً في كل العصور فقد مارست روما القديمـة سياسة كولنياليـة خاصة وكذلك فعلت أيضاً غيرها من الدول القديمة وهدفهـا من ذلك بالدرجة الاولى الحصول على العبيد والنهب المباشر للاقطار التي سيطرت عليها وذلك بالاستحواذ على قيمها المادية والاستيلاء على ثرواتها الطبيعية وفرض الغرامات والاتاوات والضـرائب عليها •

وظل هذا الاسلوب نفسـه هو السائد في السياسـة الكولنيالية في العصور الوسطى ولم يطرأ على تلك السياسة تطور يذكر وذلك لان الاقتصاد القائم على الاكتفاء الـذاتي وهو نمط الاقتصاد السائد في النظام الاقطاعي لم يخلـق لها دوافع اقتصادية تجارية ، تستثنى من ذلك الدويلات التجارية في ايطاليا (البندقية وجنوا) حيث كان التجار ذوي نفـوذ

راجح لهذا عمدت هذه الدويلات الى استغلال سكان المناطق التي استولت عليها واستخدمت تلك المناطق لمصلحة عملياتها التجارية .

ومع بداية العصور الحديثة أي مع ظهور النظام الرأسمالي وتطوره اتخذت السياسة الكولنيالية في ظله محتوى جديداً نوعياً ففي الوقت الذي ظلت فيه الاقطار المستعمرة (بفتح الميم) كالسابق موضوعاً للنهب المباشر تستنزف منها الدول المستعمرة (بكسر الميم) قيماً مادية هائلة دون أي تعويض ، بدأت تظهر وتتطور وتسود أشكال جديدة من الاستغلال الكولنيالي ، فقد أخذت العلاقات الاقتصادية المنتظمة بين المتربولات والمستعمرات تنوثق بشكل متزايد وبدأت المستعمرات تتحول الى أسواق لبيع البضائع التي تنتجها صناعة المتربول ومجهز لهذه الصناعة بالخامات وكانت النتيجة ان تغير أسلوب الانتاج القديم في البلدان المستعمرة (بفتح الميم) بحيث تحولت هذه البلدان الى ملحق خاضع في نظام الاقتصاد الرأسمالي العالمي .

تميزت السياسة الكولنيالية في بداية العصور الحديثة أي في مرحلة بداية النظام الرأسمالي بالسعي لاحتكار التجارة مع الاقطار المستعمرة (بفتح الميم) والعمل على توسيع الممتلكات الاستعمارية واللجوء الى أساليب وأشكال وحشية

لاستغلال المستعمرات . وقد تجمعت في اوربا رؤوس أموال كبيرة بسبب استغلال المستعمرات وتجارة العبيد التي انتشرت بشكل خاص اعتباراً من النصف الثاني من القرن السابع عشر وأصبحت إحدى الركائز الاساسية لتحول بريطانيا الى أكبر بلد رأسمالي في ذلك الوقت الامر الذي أسهم في تهيئة الظروف اللازمة لتطورها الاقتصادي اللاحق وقيام الثورة الصناعية فيها . لقد بلغت تجارة العبيد من الاتساع درجة بلغ معها عدد ما نقله الاوربيون من افريقيا الى العالم الجديد من السود في الفترة من نهاية القرن الخامس عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر ما يقرب من مائتي مليون منهم ١٣ مليوناً من حوض الكونغو وحده[٢] ، وفي الوقت الذي وفر ذلك للاوربيين الايدي العاملة المجانية فزاد من رفاهيتهم أدى من ناحية أخرى الى اضعاف افريقيا لانه جردها من قوتها البشرية الامر الذي مكن الدول الاوربية في القرن التاسع عشر من التغلب على الاقطار الافريقية واخضاعها بسهولة نسبياً . وقد ترتّب على تجارة العبيد الكثير من النتائج السلبية التي ما زال بعضها ماثلاً حتى اليوم منها الوهن الذي تعاني منه أفريقيا في الوقت الحاضر والنتائج التي تترتب عليه ومنها

---

(٢) المصدر السابق ص٢٣٥

مشكلة الزنوج في الولايات المتحدة[٣] • على ان أبـــرز هذه النتائج هي العنصرية التي ما تزال تؤلف واحـــداً من أبشع أمراض العصر ، فشلت جهود الانسانية حتى الآن في علاجه وتخليص البشرية منه ، فعلى الرغم من ان العديد من الخصائص التي تميز الكولنيالية في العصور الحديثة ، كان قد ظهر منذ العصور القديمة فان العنصرية ، وهي واحدة من أبرز خصائص الكولنيالية الحديثة ونعني الاحتقار والازدراء الذي يكنـــه المستعمر (بكسر الميم) تجاه البشر الذين يخضعون له بسبب لون بشرتهم المختلف والتمييز الذي يمارسه ضدهم ، لم يكن لها وجود لا في العصور القديمة ولا في العصـــور الوسطى التي كان التمييز فيها يقوم على أساس الدين بل ظهـــرت في العصو رالحديثة فقط •

على أية حـــال كان عمل العبيد الاســـاس الاول الذي يرتكز عليه العمل في المزارع الكبيرة وفي المناجم ، وكان كل

---

(٣) لقد أجمل أحدهم دوافع تجارة العبيد ونتائجها الســلبية بقوله : « لست أدري ما اذا كان البن والسـكر ضروريين لسعادة اوربا ولكنني أدري تماماً ان هذين المحصـــولين قد اديا الى شقاء ثلثي العالم . لقد قضي على سكان امريكـــا [يقصد الهنود الحمر سكان امريكا الاصليين] حتى تتوفر الارض لزراعتهما وقضي على سكان افريقيا حتى تتوفر امة كاملة تقوم بهذه الزراعة » ــ نقلا عن : غي دو بوشـــير ، المصدر السابق ، ص٢٢٢ •

ذلك يدر مبالغ طائلة على الدول المستعمرة (بكسر الميم) ولهذا كانت هذه الدول تتكالب للحصول على المستعمرات فقامت بسبب ذلك حروب استعمارية طويلة كلفت البشرية ثمناً باهظاً .

لقد استطاعت كل من اسبانيا والبرتغال أن تكون على أثر الاستكشافات الجغرافية امبراطورية كولنيالية واسعة ، حيث سيطر الاسبان بعد اكتشاف امريكا في ١٤٩٢ على امريكا الوسطى والقسم الاغلب من امريكا الجنوبية ، واستولى البرتغاليون على البرازيل وأقاموا لهم نقاط ارتكاز على سواحل افريقيا الغربية والشرقية ورسخ وضعهم على الساحل الغربي لشبه جزيرة الهند . لقد أفنى المستعمرون (بكسر الميم) الاسبان والبرتغاليون مئات الالوف من سكان المستعمرات وحولوا الكثيرين منهم الى عبيد وأقاموا في الاقطار التي استولوا عليها نظام استغلال وحشي ومارسوا سياسة كولنيالية قاسية تقوم على التوسع في فرض الضرائب وعلى ممارسة السخرة على نطاق واسع في مزارع وضياع المستعمرين (بكسر الميم) ومناجمهم واحتكار تجارة المستعمرات الداخلية والخارجية .

واعتباراً من نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر ظهرت هولندا دولة كولنيالية وصلت ذروة قوتها

في منتصف القرن السابع عشر فاستولت على أغلبية المستعمرات البرتغالية في الشرق ، لكنها لم تلبث أن فقدت سيادتها الاستعمارية بدورها على يد بريطانيا التي استطاعت بعد سلسلة من الحروب الناجحة ضدها أن تحطمها كقوة ذات أثر في مجال التوسع الكولنيالي في النصف الثاني من القرن السابع عشر • ولم تلبث فرنسا من جانبها ان بدأت منذ نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر السير في طريق التوسع الكولنيالي هي الاخرى •

لقد نفذت هذه الدول سياستها الكولنيالية في هذه المرحلة بواسطة شركات تجارية حكومية أنشئت خصيصاً لهذا الغرض ومنحت امتيازات خاصة مثل شركة الهند الشرقية الانجليزية وشركة الهند الشرقية الهولندية وشركة الهند الشرقية الفرنسية •

وعلى الرغم من أن السياسة الكولنيالية التي مارستها الدول الكولنيالية في مستعمراتها كانت مصدراً لارباح هائلة لجميع هذه الدول لكن أثرها كان مختلفاً من دولة لأخرى ، فهي في الدول الاقطاعية مثل اسبانيا والبرتغال كانت تساعد على الركود ثم على تدهور هذه الدول ذلك ان الاموال الطائلة الواردة من المستعمرات كانت تذهب الى الملوك المستبدين والى النبلاء والكنيسة حيث تستغل في أمور غير انتاجية

فتتعزز بذلك الانظمة الاقطاعية وتشل الدوافع التـي تؤدي الى تطور الزراعة والصناعة • أما في الدول الرأسماليـة مثل بريطانيا وهولندا فان السياسة الكولنيالية عجلت في تطـور الرأسمالية وساعدت على ازدهار التجارة والصناعـة وزادت من قوة وثراء البرجوازية •

أما في المستعمرات فان السياسة الكولنيالية كانت تؤدي الى تحطيم القوى المنتجة واعاقة التطور الاقتصادي والسياسي وتفضي الى خسارة الاقطار المستعمرة (بفتح الميم) لثرواتها بل والى فناء سكانها ، فالسيطرة الكـولنيالية في امريكـا اللاتينية مثلاً أدت خلال ثلاثة قرون الى أن يفنى تسعة أعشار الهنود الحمر سكان تلك البلاد الاصليين ، أما في أفريقيـا فقد رأينا كيف أن تجارة العبيد قد أدت الى تجريد هذه القارة من قوتها البشرية وخلفت لها العديد من المشاكل التي لم تستطع التخلص من بعضها حتى الوقت الحاضر •

وكانت السياسة الكولنيالية تتطور بالارتباط مع تطور الرأسـمالية وانتقالها الى مرحلة الصناعة المعملية الضخمـة، ولهذا أضيفت الى أساليب الاستغلال المباشر وفرض الضرائب على سكان المستعمرات أساليب جديدة ، تقوم على اسـتغلال المستعمرات عن طريق التبادل التجاري غـير المتكافىء وزاد ارتباط المستعمرات بالمتربولات اقتصادياً وتحولت الى توابع

زراعية لها يحكمها اتجاه لتطوير زراعة محصول واحد وأصبحت سوقاً لتصريف المنتجات الصناعية ومصدراً للخامات بالنسبة للصناعة المتنامية في المتربولات • وهكذا نجد ان التجارة الانجليزية تضاعفت مرة واحدة في فترة الثمانين سنة الاولى من القرن الثامن عشر (من ١٧٠٠ حتى ١٧٨٠) بينما تضاعفت ثلاث مرات في العشرين سنة التي أعقبت ذلك علماً بأن اتجاه التجارة الانجليزية أخذ يتحول عن اوروبا القارية باتجاه التجارة مع المستعمرات(٤) وقد ازداد هذا الاتجاه اتساعاً في القرن التاسع عشر فقد ازدادت كمية المنسوجات القطنية الانجليزية المصدرة الى الهند في الفترة من ١٨١٤ حتى ١٨٣٥ بمقدار ٦٥ مرة • وفي ١٨٦٠ صدرت بريطانيا الى الهند كمية من هذه المنسوجات تزيد بمقدار مرتين عما صدرته منها الى اوربا والولايات المتحدة مجتمعتين(٥) • وعملت المتربولات على أن يتوسع في المستعمرات انتاج المحاصيل الزراعية اللازمة لها وان تتخصص كل مستعمرة في انتاج محصول واحد أو اثنين فقط • وهكذا تخصصت الهند في انتاج القطن والجوت والافيون والاقطار الافريقية في

---

(4) George Lichtheim, Imperialism, Pelican Books, 1974, P. 49.

(5) K.N. Brutents, "Ko'onii i Kolonialmaya Politika", Sovetskaya Istoricheskaya Enstklopediya. T. 7, Moskva 1965, str. 519.

انتاج الكاكاو والبن وسيلان في المطاط والشـــاي وبورما وفيتنام في الرز وهكذا . لقد تقصد الاستعماريون في فرض هذا التخصص لكي يكون ذلك وسيلة سهلة للضغط على هذه الاقطار واجبارها على الانصياع والخضوع لهم .و ظلت هذه الظاهرة قائمة في تلك الاقطار حتى بعد الاستقلال وســببت لها الكثير من الضرر ففي عام ١٩٦٤ مثلا كان ٧٣٪ من صادرات بوليفيا من القصدير و٥ر٩٣٪ من صادرات فنزويلا من النفط و١ر٥٣٪ من صادرات البرازيل من البن و٨٦٪ من صادرات ليبريا من المطاط وخامات الحديد و٦٠٪ من صادرات غانـــا من الكاكاو و٩ر٧١٪ من صادرات كولومبيا من البن وأكثر من ٩٠٪ من صادرات غامبيا (في ١٩٦٦) من الفول السوداني و٦١٪ من صـــادرات ســـيلان (في ١٩٦٧) من الشـــاي و٨٠٪ من صادرات السنغال والنيجر (في ١٩٦٨) من الفــول السوداني وهكذا . وكان من نتيجة ذلك ان أصبح ثلاثون قطراً من أصل ثمانين من الاقطار الناميـــة تحصل على نصف موردها من العملة الصعبة من تصدير محصول واحـــد فقط في حين يحصل الكثير من الاقطار الباقية على ذلك من تصدير محصولين[٦] . وبامكاننا أن نتصور كم هي فعالة وســيلة

---

(6) K.N. Brutents, Novaya Forma Poraboshcheniya Narodov, Moskva 1969, str. 12.

الضغط هذه بيد الدول التي كانت تستعمر هذه الاقطار اذا علمنا ان العلاقات الاقتصادية للاقطار التي تحررت حديثاً تتجه بالاساس الى الدول الامبريالية ذلك ان ٧٠٪ من مجمل صادرات وواردات هذه الاقطار هو من حصة دول اوربا الغربية وامريكا الشمالية واليابان وان ٩٠٪ من مجمل القروض التي تحصل عليها تلك الاقطار تأتي من هذه الدول أيضاً[٧] .

ان انتشار طرق جديدة للاستغلال وضرورة انشاء مؤسسات خاصة للادارة الكولنيالية قادرة على ترسيخ السيطرة على الشعوب المستعمرة (بفتح الميم) وتحمل مصاريف السياسة الكولنيالية والتنافس بين الفئات البرجوازية المختلفة في المتربولات ، كل ذلك أدى الى الغاء الشركات التجارية الاحتكارية التي كانت قبل ذلك الاسلوب السائد في السياسة الكولنيالية كما أشرنا واستبدالها بأسلوب جديد يقوم على ادارة المستعمرات من قبل المتربول مباشرة .

ولا بد أن نلاحظ بأن التغير الذي طرأ على أشكال وأساليب السياسة الكولنيالية لم يصاحبه تخفيف من عنفها أو قسوتها على المستعمرات ، فقد واصلت المتربولات استنزاف ثروات هائلة من المستعمرات وكانت هذه الثروات أساساً

---

(7) Ibid. pp. 12-13.

للتطور الاقتصادي في اوربا وامريكا الشمالية . وعلى الجانب الآخر أدى انجذاب المستعمرات الى التبادل التجاري العالمي والتغييرات الاقتصادية التي حصلت فيها نتيجة لذلك الى آن تأخذ العلاقات الاجتماعية السابقة فيها بالتحلل والفناء والى أن تبدأ المستعمرات السير في طريق التطور الاقتصادي ولكن المستعمرين كانوا يخشون من العواقب الاقتصاديةوالاجتماعية والسياسية للتقدم الاقتصادي في المستعمرات ولهذا نجدهم يجهدون في وضع العراقيل أمامه ويستميتون في ايقافه ويعمدون من أجل تحقيق هدفهم هذا الى اسناد الفئات الاقطاعية والعشائرية المتخلفة متخذين منها سنداً لسيطرتهم هناك . لقد كان من نتيجة السياسة التي مارسها المستعمرون (بكسر الميم) في مستعمراتهم ان أدت سيادة الرأسماليين الاجانب والفيض الهائل من البضائع الاجنبية الرخيصة بسبب استيرادها بدون ضرائب كمركية واستنزاف الخامات بأبخس الاثمان الى افلاس وفقر سكان المستعمرات والى انقراض الحرف والصناعة المحلية وبالتالي الى تدهور اقتصاد الاقطار الخاضعة للاستعمار وخرابه .

لقد أدت الثروات الهائلة التي كان المستعمرون يجنونها من استغلالهم للمستعمرات الى أن يشتد الصراع بين الدول الكولنيالية والى أن تزداد الحروب الاستعمارية بسبب التنافس فيما بينها للحصول على المستعمرات وأخذت بريطانيا

تبرز بوصفها أكبر دولة كولنيالية ذلك انها تمكنت من التغلب على فرنسا بعد سلسلة من الحروب بين الدولتين ونعني حرب الوراثه الاسبانية (١٧٠١ــ١٧١٤) وحرب الوراثة النمساوية (١٧٤١ــ١٧٤٨) وحرب السبع سنوات (١٧٥٦ــ١٧٦٣) والحروب النابليونية في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر . وهكذا استولت بريطانيا على الكثير من ممتلكات فرنسا الكولنيالية كما توسعت أيضاً على حساب هولندا واسبانيا والبرتغال واستولت على الهند وشنت على الصين حروب الافيون وفرضت نتيجة لذلك على الصين معاهدات جائرة فتحت أبواب الصين امام التجارة الانجليزية واستولت على هونكونغ وحصلت على نقاط ارتكاز لها في الخليج العربي وعدن . وهكذا أصبحت بريطانيا بفضل سعة امبراطوريتها الكولنيالية من جهة وتفوقها الصناعي من جهة آخرى أقوى دولة طيلة القرن التاسع عشر تقريباً .

ولم تتخلف الدول الاخرى عن التوسع الكولنيالي فاستولت فرنسا على الجزائر في ١٨٣٠ــ١٨٤٨ وعلى فيتنام وأقامت حمايتها على كمبوديا في ١٨٦٣ وعلى لاؤس في ١٨٩٣ . أما روسيا فقد اتجهت في توسعها نحو الجنوب والجنوب الشرقي الى منطقة البراري وما وراء الفولغا والى أصقاع سيبريا الواسعة وكذلك الى آسيا الوسطى والقفقاس .

وفي النصف الاول من القرن التاسع عشـر دخلت الولايـات المتحدة حلبة الصراع من أجل المستعمرات فأعلنت مبدأ مونرو في ١٨٢٣[٨] مؤكدة بذلك رغبتها في أن تحتكر استغلال أقطار

(٨) هو بيان تضمن المبادىء التي ترتكز عليها سياسةالولايات المتحـدة الخارجية أعلن بهيئة رسـالة وجهها الرئيس الامريكي جيمس مونرو الى الكونجرس في ٢ كانون الاول ١٨٢٣ بسبب انتشار الشائعات حول عزم دول المحفـل الاوربي التدخل في امريكا اللاتينية لقمع الثورة القائمـة في المستعمرات الاسبانية هناك وبمناسبة المحادثات التي جرت بين بريطانيا والولايات المتحـدة وروسيا حول تخطيط الحدود بين ممتلكات هذه الدول في الجزء الشمالي الغربي من قارة امريكا الشمالية .

لقد أكدت الرسالة على انه لا ينبغي من الآن فصاعـداً النظر الى الامـريكتين على انهما موضـوع للاسـتعمار الاستيطاني من قبل أي دولة من الدول الاوربية ، وأشارت الى ان العـالم ينقسم الى نظامين اوربي وامريكي مختلفين عن بعضهما ؛ وأكدت انه في الوقت الذي تلتـزم الولايات المتحدة بسياسة عدم التدخل في شؤون الاقطار الاوربيـة الداخلية كذلك ينبغي على الدول الاوربية ان تمتنـع عـن نشر نظامها في أي جزء من أجزاء القارة الامريكية ، كذلك أكدت الرسالة حياد الولايات المتحـدة في الصراع القائـم بين اسبانيا ومستعمراتها في العالم الجديد .

والى جانب هذه المبادىء التقدمية أشارت الرسـالة الى ان تنامي قوة الولايات المتحدة ورفاهها يعتمد على استيلائها على مناطق جديدة وزيادة عدد ولاياتها ، وبهـذا أكـدت

←

امريكا اللاتينية وعمدت الى الاستيلاء على بعض أراضي المكسيك وفرضت معاهدات جائرة على الصين واليابان •

لقد اصطدمت سياسة الاستغلال الكولنيالي بمقاومة بطولية من جانب شعوب الاقطار التي شاء سوء حظها أن تقع ضحية للكولنيالية فقام عدد من حركات التحرر الوطني القوية في المستعمرات والبلدان التابعة نذكر منها حرب المقاومة الشعبية في الجزائر بقيادة الامير عبدالقادر الجزائري في ١٨٣٢–١٨٤٧ والحرب من أجل الاستقلال في المستعمرات الاسبانية في العالم الجديد في ١٨١٠–١٨٢٦ التي أدت الى تقويض السيطرة الاسبانية على تلك الاقطار والانتفاضة الشعبية في الهند في ١٨٥٧–١٨٥٩ وانتفاضة تايبيه في الصين في ١٨٥١–١٨٦٤ وانتفاضة الشعب العربي في مصر بقيادة أحمد عرابي في ١٨٧٩–١٨٨٢ والثورة المهدية في السودان ١٨٨١–١٨٩٨ والانتفاضات التي قامت في اقطار الهند

حكومة الولايات المتحدة نواياها التوسعية وهو ما اظهرته الاحداث فيما بعد •

لقد ظلت المبادىء الواردة في رسالة مونرو هذه أساساً لسياسة الولايات المتحدة الخارجية حتى قيام الحرب العالمية الاولى وكذلك في فترة ما بين الحربين وأصبح مبدأ مونرو هذا ذريعة استغلتها حكومة الولايات المتحدة أكثر من مرة للتوسع على حساب أقطار امريكا اللاتينية وللتدخل في شؤونها الداخلية •

الصينية في أواخر ثمانينيات وتسعينيات القرن التاسع عشر وانتفاضة الهوتنتوت في جنوب غرب افريقيا في ١٩٠٤ — ١٩٠٧ ٠

ومع ظهور « الامبريالزم » Imperialism في أواخر القرن التاسع عشر دخلت السياسة الكولنيالية مرحلة جديدة من مراحل تطورها وقبل أن نتحدث عن خصائص هذه المرحلة لا بد أن نتوقف قليلاً لتحديد معنى هذا المصطلح الاخير أي الامبريالزم أو الامبريالية كما اعتاد البعض على تسميته مؤخراً ٠

ليس ثمة رأي موحد في تحديد معنى الامبريالزم بل ان هناك من الباحثين من يرى بأنه من الصعب اعطاء مفهوم محدد لهذه الكلمة ، حتى انها تستخدم في بعض الاحيان كمرادف لكلمة كولنيالزم حيث تستعمل للدلالة على التوسع الاوربي في المناطق غير الاوربية في العصور الحديثة بل انها تستخدم في بعض الاحيان للدلالة على هذا التوسع في العصور القديمة والوسطى ٠ ومع ذلك فالشائع الآن هو ان الباحثين ينقسمون في هذه المسألة الى فريقين يختلف أحدهما عن الآخر اختلافاً ظاهراً ٠

يرى أفراد الفريق الاول ان الامبريالزم يعني التوسع الاوربي الذي لا يقوم على الهجرة والاستيطان — رغم ان

بعض الدول استندت في توسعها الامبريالي على هذه الحجة أيضاً - وانما يقوم على أساس النتائج التي ترتبت على الانقلاب الصناعي والتطورات التي نجمت عنه في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية • أي انه يعني السيطرة والتوسع الاقتصاديين في المقام الاول ، وهو بذلك يعني توسع الاقطار المتقدمة اقتصادياً وتكنولوجياً على حساب الاقطار المتأخرة •

والامبريالزم بالنسبة لهذا الفريق من الباحثين ينطوي على ثلاثة عوامل أساسية تجعله يختلف نوعياً عن أشكال السيطرة الاستعمارية السابقة على الانقلاب الصناعي وهذه العوامل هي :

١- توسع مجتمع متقدم على حساب مجتمعات تعد متأخرة

٢- توسع وتطور الخبرة الاقتصادية والسياسية في منطقة يقطنها سكان محليون دون أن يصاحب ذلك استيطان على نطاق واسع •

٣- استخدام قوات الامة القائمة بالاستعمار في مناطق بعيدة جغرافياً عن قواعدها الاعتيادية مع كل ما يستتبع ذلك من مشاكل ستراتيجية ودبلوماسية •

وهكذا فالامبريالية وفــق هذا المنظــور تعني تأثير وتغلغل مجتمع يرى نفسه متفوقاً في مجتمع آخر متخلف عنه بطريقة تؤدي الى تغيير يحصل في المجتمعين معاً •

واسباب ظهور الامبريالزم بالنسبة لاصحاب هذا المفهوم متنوعة منها الاقتصادية والسياسية والشوفينية ومنها عوامل تتعلق بالستراتيجية ونفسية تتعلق بالجشع وحب المال واكتنازه والنزعة الى الســيطرة والتفوق ، بل ان بعضهم يجعــل حب الخير ومساعدة الناس من جملة العوامل والاســباب التــي دفعت الى الاستعمار • ومع ذلك فهناك اتفــاق عام على ان العوامل الاقتصادية هي الاهم في هذا المجال فالرغبة في تأمين الاسواق لتصريف البضائع المصنوعة من جهة والحاجــة الى المواد الخام اللازمة للصناعة والى المواد الغذائيــة من جهــة ثانية والبحث عن مجــالات جديدة لاستثمار رؤوس الاموال الزائدة من جهة ثالثة ، هي العوامل الرئيسة التي دفعت بالدول الصناعية الى العمــل من أجل الحصــول على مستعمرات في خارج اوربا •

وهكذا فان الامبريالزم أو الاستعمار الحديث كما اعتاد البعض على تسميته ظهــر في رأي هــذا الفريق من الباحثين مصاحباً للتقدم الصناعي الحديث الذي تحقق في ظل الرأسمالية ونتيجة له • ونستنتج من ذلك بان الامبريالزم ، على الضــد

من الكولنيالزم ، لم يكن موجوداً قبل التقدم الذي شـــهدته المجتمعات الصناعية الرأسمالية في اوربا في أواخـــر القـــرن التاسع عشر .

ويوافق الباحثون من الفريـــق الثاني على هذه النقطـــة الأخيرة ونفي كون الامبريالزم ظهر في أواخر القرن التاســـع عشـــر بالارتباط مع التطورات التي شـــهدتها اوربا في تلك المرحلة ولكنهم يختلفون عن الفريق الاول اختلافاً جـــذرياً في تحديد مفهوم هذا المصطلح ومعناه ، فالامبريالزم بالنسبة لهم هو مرحلة من مراحل تطور النظام الرأسمالي ، انه المرحلة التي تعيشها الرأسمالية الآن في البلدان الرأسمالية المتطورة في اوربا الغربية وامريكا الشمالية والتي تتميز بسيادة الاحتكـــارات وسطوة رأس المال المالي[٩] ، فهو إذن ، حسب رأي هؤلاء ، لا يمكن أن يوجد إلا بوجود الرأسمالية لانه ببساطة رأسمالية في مرحلة معينة من مراحل تطورها ، فلقد تكونت في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين جملة من الظروف ساعدت على توسع وانتشار الرأسمالية وعلى انتقالهـــا مـــن مرحلة ما قبل الاحتكـــارات أي من الرأسمالية القائمـــة على

---

(٩) يقصد به ذلك الشكل من رأس المال الذي نجم عن التلاحم بين الاحتكارات المصرفية والاحتكارات الصناعيـــة والذي تكون بسبب عمليـــة تركز الانتاج التي أدت الى تركـــز

المنافسة الحرة الى المرحلة الاحتكارية أي الى الامبريالزم .
ففي النصف الاول من القرن التاسع عشر لم تكن الرأسمالية
قد أصبحت نظاماً سائداً إلا في البلدان الاكثر تطوراً في اوربا
الغربية ولكنها لم تلبث ان أخذت تنتشر بشكل سريع جداً في
النصف الثاني من ذلك القرن نظراً لزوال العقبات التي كانت
تعيق تطورها في الكثير من الاقطار ، فقد ألغيت القنانة في
روسيا في ١٨٦١ والغيت العبودية في الولايات المتحدة نتيجة
للحرب الاهلية هناك في ١٨٦١ـ١٨٦٥ وقامت الثورة
البرجوازية في اليابان في ستينيات وسبعينيات القرن التاسع
عشر وانجزت الوحدة الايطالية في ١٨٥٩ـ١٨٧٠ والوحدة
الالمانية في ١٨٧١ . لقد ساعدت هذه الاحداث بأشكال
مختلفة على تكوين الظروف الملائمة للتطور السريع للرأسمالية
في تلك الاقطار .

وجاءت سلسلة الاختراعات المهمة التي حصلت في
النصف الثاني من القرن التاسع عشر لتحدث ثورة تكنولوجية
هائلة ولتؤدي الى ما أطلق عليه اسم الثورة الصناعية الثانية ،
وقد ترتب على ذلك نمو عاصف في القوى المنتجة الامر الذي
أدى الى زيادة كبيرة في حجم الانتاج الصناعي . وهكذا فقد
تضاعف الانتاج الصناعي من ١٨٧٠ الى ١٩٠٠ بمقدار ثلاث
مرات ومن ١٨٧٠ حتى ١٩١٣ بمقدار خمس مرات . لقد

توسعت بشكل خاص الصناعة الثقيلة فازداد انتاج الفولاذ في العالم مثلاً من ٥٥٠ مليون طن في ١٨٧٠ الى ٢٨ مليون طن في ١٩٠٠ وزادت كمية الفحم المستخرج من ٨٢ مليون طن في ١٨٥٠ الى ٣٤٤ مليون طن في ١٨٨٣ واستمرت على الزيادة حتى تجاوزت المليار طن في بداية القرن العشرين • وتطور النقل فازداد طول شبكة السكك الحديد في العالم بمقدار اربع مرات في الحقبة من ١٨٧٥ حتى ١٩١٧ وازدادت حمولة الاسطول التجاري من مليون طن في أواسط القرن التاسع عشر الى ٣٣ مليون طن في ١٩١٣[10] • وفي الوقت نفسه كانت تجري في البلدان الرأسمالية عملية تركيز سريعة للانتاج ورأس المال • ان المنافسة الحرة التي كانت سائدة في مرحلة ما قبل الاحتكارات تفضي بشكل طبيعي الى تركيز الانتاج وهذه العملية الاخيرة تؤدي حتماً الى الاحتكار • وهكذا أخذت بالظهور على أساس عملية تركيز الانتاج هذه العديد من اتحادات الرأسماليين مثل الكارتلات وهي اتفاقات احتكارية حول الاسعار وشروط البيع واقتسام الاسواق والسنديكاتات وهي اتحادات احتكارية يتوحد فيها النشاط التجاري للمؤسسات المشتركة فيها والترستات وهي توحيد المشاريع والشركات لا في المجال التجاري فقط بل وفي المجال

(10) W. Leontex, "Imperialism". Sovetskaya Istoricheskaya Entsklopediya. T.5. Moskva 1964. str. 808.

الانتاجي أيضاً • ثم ظهرت بعد ذلك اتحادات احتكارية أوسع هي الكونسيرنات التي تضم العشرات وفي بعض الاحيان المئات من المشاريع المختلفة على أساس قاعدة مالية مشتركة ولقد اصبحت الاحتكارات حتى بداية القرن العشرين أحد الأسس الرئيسة للحياة الاقتصادية في البلدان الرأسمالية واحتلت مركز القيادة في اقتصاد هذه البلدان •

ومن الناحية الاخرى حول تركز عمليات الاعتماد والاقراض البنوك الى مراكز مالية كلية القدرة تتركز في أيديها رؤوس أموال طائلة ، وعلى هذا الاساس ظهر رأس المال المالي نتيجة لتركز الانتاج وظهور الاحتكارات وتلاحم البنوك مع الصناعة والامبريالزم هو في الحقيقة عصر سيادة رأس المال المالي • ان تفوق رأس المال المالي على كل أشكال رأس المال الاخرى يعني سيادة « الاوليگاركية »[11] المالية التي تتغلغل في جهاز الدولة وتستغله للحصول على ارباح احتكارية ومدخولات عالية وللاستحواذ على نفوذ متزايد وسيطرة متنامية على كل نواحي الحياة في المجتمع • وبعد أن تقيم هذه

---

(11) مصطلح مركب من كلمتين يونانيتين الاولى تعني قليل والثانية تعني سلطة أي انه يعني سلطة القليلين أو الاقلية، والاوليكاركية هي شكل من أشكال الحكم تكون فيه السيادة السياسية والاقتصادية بيد مجموعة صغيرة من الاغنياء أو الارستقراطيين .

الاوليگاركية المالية واحتكاراتها سيطرتها الراسخة على السوق العالمي للاستواذ عليه ، وهنا تبرز أهمية المستعمرات بالنسبة للدول الرأسمالية التي دخلت المرحلة الاحتكارية • وهذا ي ان الذي يقوم بالتوسع والسيطرة الاستعمارية هو بالنسبة لهذا الفريق من الباحثين الفئة الاوليگاركية المسيطرة على مقدرات البلد المستعمر (بكسر الميم) وليس ذلك البلد بأجمعه كما يرى أفراد الفريق الاول •

ذلك هو معنى الامبريالزم وتلك هي باختصار العوامل والظروف التي أدت الى ظهوره في الثلث الاخير من القرن التاسع عشر من وجهة نظر الفريق الثاني من فريقي الباحثين اللذين أشرنا اليهما • وعلى أي حال سواء كان الامبريالزم هو ذلك الشكل الجديد من اشكال السيطرة الاستعمارية الذي ظهر بالارتباط مع التقدم الصناعي الحديث الذي حصل في الدول الاوربية المتقدمة كما يرى الباحثون من الفريق الاول أو انه المرحلة التي وصلتها الرأسمالية في تطورها في الوقت الحاضر كما يعتقد الباحثون من الفريق الثاني فان الفريقين متفقان على ان أهمية المستعمرات تزداد ، ويزداد ويتسع الدور الذي تؤديه بالنسبة للدول الاستعمارية في ظل الامبريالزم • فلقد أدى تنامي الصناعة واتساعها في الاقطار الاوربية المتقدمة الى زيادة الحاجة الى المواد الخام التي أصبح

تامينها أمراً لا بد منه لاستمرار الاستثمارات وتنميتها في المتربولات كما ان اتساع الصناعة وتطورها وما نجم عن ذلك من زيادة سكان المدن لدرجة هائلة أدى أيضاً الى البحث عن مورد المواد الغذائية اللازمة لهؤلاء السكان المتزايدين• وقد زاد ذلك كله من شهية الدول الاستعمارية وجعلها تنشط مساعيها للحصول على المستعمرات لغرض الحصول على المواد الاولية المتوفرة فيها ولاستخدامها كمصدر للمواد الغذائية اللازمة لسكان المتربول لاسيما وان تطور النقل وتقدم وسائل المواصلات جعل من نقل هذه المواد الى المتربولات أمراً يسيراً زهيد التكاليف •

وهكذا ازداد في هذه المرحلة تكالب الدول الاستعمارية للحصول على المستعمرات واشتد الصراع فيما بينها في مجال التوسع الاستعماري • وقد تمخض هذا الصراع عن اقتسام العالم فيما بين الدول الاستعمارية في الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، ويعد مؤتمر برلين ١٨٨٤ـ١٨٨٥ الذي اقتسمت الدول الاوربية الكولنيالية خلاله اقطار القارة الافريقية فيما بينها حلقة مهمة في هذا الشأن • لكن ذلك لم يكن كافياً إذ لم يلبث الصراع ان تجدد وأخذت كل من تلك الدول تسعى بشكل محموم لاعادة اقتسام العالم بما يحقق لها أكبر حصة ممكنة من المستعمرات • وجهدت كل من تلك الدول لزيادة

مستلكاتها الاستعمارية بكل السبل فاستولت بريطانيا من عام ١٨٧٦ حتى عام ١٩١٤ على أراضٍ مساحتها ٩ ملايين كيلومتر مربع يقطنها ١٤٦٦٠٠٠٠٠ نسمة وفرنسا على مناطق مساحتها ٩٧٠٠٠٠٠كم٢ يسكنها ٤٩ مليون نسمة والمانيا على أقطار مساحتها ٢٩٠٠٠٠٠كم٢ يبلغ عدد سكانها ١٢٣٠٠٠٠٠ نسمة أما حصة الولايات المتحدة واليابان فكانت أقل من ذلك إذ كانت بالنسبة للاولى ٣٠٠٠٠٠كم٢ يسكنها ٩٧٠٠٠٠٠ نسمة وبالنسبة الى الثانية ٣٠٠٠٠٠كم٢ أيضاً يسكنها ١٩٢٠٠٠٠٠ نسمة[١٢] .

وتشير هذه الارقام الى حقيقة أخرى هي ان وتيرة الاستيلاء على مناطق جديدة من قبل الامبريالية قد ازدادت في هذه المرحلة عما كانت عليه في المرحلة السابقة . والواقع ان هذه الوتيرة قد تضاعفت ثلاث مرات فقد ازداد معدل الاراضي الجديدة المستولى عليها من ٨٣ ألف ميل مربع (٢١٠ آلاف كيلو مترمربع) سنوياً بين ١٨٠٠ و١٨٧٥ الى ٢٤٠ ميل مربع (٦٢٠ آلاف كيلومتر مربع) سنوياً بين أواخر القرن التاسع عشر والحرب العالمية الاولى ، وقد أصبحت القوى الاستعمارية ومستعمراتها نتيجة لهذا التوسع الهائل

(12) Brutents, "Kolonii i Kolonialnaya Politika"... str. 521-522.

تحتل نحو ٨٥٪ من سطح الارض في عام ١٩١٤[١٣] . وهكذا وقعت كل افريقيا تقريباً تحت السيطرة الاستعمارية وكذلك أجزاء واسعة من آسيا وامريكا اللاتينية ولم تعد هناك مناطق « شاغرة » يمكن أن تتوسع فيها الدول الامبريالية لاحقاً ولهذا فان أي توسع في المستقبل لا يمكن أن يكون إلا توسع بعض الدول الامبريالية على حساب بعضها الآخر .

ان الشكل الرئيس للسيطرة الاستعمارية في ظل الامبريالزم هو سيطرة المتربول العسكرية والسياسية المباشرة على المستعمرات، غير ان شكلاً جديداً من التبعية الاستعمارية ظهر مع ظهور الامبريالزم وتطوره ونعني وضع البلدان التابعة وأشباه المستعمرات أي البلدان المستقلة سياسياً من الناحية الرسمية والمكبلة عملياً بشبكة من خيوط التبعية المالية والدبلوماسية للدول الامبريالية . ان مثل هذا الوضع كانت تعاني منه قبل الحرب العالمية الاولى دول كثيرة منها الدولة العثمانية وايران والصين وافغانستان وسيام (تايلند حالياً) وكثير من أقطار امريكا اللاتينية ، علماً بأن بعض هذه الدول كالدولة العثمانية وايران كانت بدورها تستعمر أقطاراً أخرى استعماراً كولنيالياً ، وهذا يعني ان هذه الاقطار تعرضت

---

(١٣) هاري ماجدوف ، الامبريالية من عصر الاستعمار الى اليوم ، مؤسسة الابحاث العربية ، بيروت ١٩٨١ ، ص٤٤

لاستغلال مزدوج من قبل الدولة التي تسيطر عليها ومن قبل الدول الاوربية الامبريالية الامر الذي عقّد وضعها الصعب وزاد من المشاكل التي تواجهها • وهذا ينطبق على الاقطار العربية التي خضعت للدولة العثمانية حيث زاد الاستغلال المزدوج الذي تعرضت له من العواقب الوخيمة التي ترتبت على السيطرة الاجنبية فيها •

لقد ازداد لدرجة كبيرة ، الدور الذي تؤديه المستعمرات في عصر الامبريالزم بالمقارنة مع العصور السابقة حيث أصبحت ، دون أن تفقد أهميتها السابقة باعتبارها أسواقاً لتصريف صناعة المتربولات وموردا للخامات والمواد الغذائية، مجالاً لاستثمار رؤوس الاموال بالدرجة الاولى • فمثلا ازدادت صادرات بريطانيا من البضائع في المدة من ١٩٠٠ الى ١٩١٢ بمقدار ٧٧٪ في حين ازداد تصديرها لرأس المال في المدة نفسها بمقدار ٦٢٤٪ (١٤) • وكانت النسبة الغالبة من رؤوس الاموال المصدرة توجه للاستثمار في المستعمرات والبلدان التابعة • ويعمد الرأسماليون الى تصدير رأس المال لاستثماره في المستعمرات والبلدان التابعة نتيجة لتراكم رؤوس الاموال في المتربول وقلة مجالات الربح العالي هناك من جهة ووجود الخامات الرخيصة والايدي العاملة الرخيصة في المستعمرات

---

(14) Leontev, Op. Cit. P. 809.

من جهة أخرى • وهكذا فان استغلال شعوب المستعمرات وثرواتها الطبيعية هو واحد من أهم مصادر الربح العالي للاحتكارات الرأسمالية • وتستغل الاوساط الحاكمة في الدول الامبريالية وأصحاب الاحتكارات الارباح الوفيرة التي يجونها من استغلال مستعمراتهم لترسيخ سلطتهم في المتربولات بمختلف الاشكال والاساليب ابتداءً من شق الحركة الجماهيرية المعادية لسلطة الاحتكارات وانتهاءً باشاعة العسكرية في الاقتصاد •

لقد ازدادت أهمية المستعمرات من الناحية العسكرية والستراتيجية أيضاً وازداد دورها في تقديم القوة البشرية اللازمة للحروب التي تشنها الدول الامبريالية الى جانب تجهيزها لهذه الدول بالخامات الستراتيجية ، فقد جندت بريطانيا في الحرب العالمية الاولى مثلا ١٧٠٠٠٠٠ جندي من الهند فقط كما جندت فرنسا ما يقرب من ٥٠٠٠٠٠ جندي من شمال وغرب افريقيا(١٥) • وكانت الدول الامبريالية تستخدم هؤلاء المجندين في جبهات القتال وكذلك لقمع الحركة الثورية في المستعمرات والمتربولات •

ومن الجهة الاخرى يزداد وضع المستعمرات سوءاً في ظل الامبريالزم حيث تعمد الدول الامبريالية الى اخضاع

---

(15) Brutents, "Kolonii i Ko'onialnaya Politica"... str. 523.

اقتصاد مستعمراتها اخضاعاً تاماً لحاجاتها هي وتسعى الى ان تحافظ فيها على العلاقات الاقطاعية وما قبل الاقطاعية ، لذا فان أساليب الاستغلال الرأسمالية الجديدة تتشابك مع طرق الاستغلال القديمة الخاصة بالفترة السابقة على الراسمالية ، كما انها تعمل بكل السبل من اجل اعاقة تطور الرأسمال الوطني في المستعمرات وتمنع قيام صناعة عصرية كبيرة هناك باستثناء التعدين الذي لا تستطيع أن تتجاوزه لحاجتها الماسة الى الخامات ، وتدفع المستعمرات لان تتخصص كل منها في انتاج منتوج زراعي واحد أو في استخراج معدن معين واحد لكي يبقى اقتصادها وحيد الجانب معتمداً على المتربول . وقد اتسع هذا الاتجاه الى درجة بحيث استمر قائماً في كثير من الاقطار المستعمرة حتى بعد استقلالها وسبب لها الكثير من الضرر حيث أصبح وسيلة ضغط فعالة بيد الدول الامبريالية(١٦) .

وفي عصر الامبريالزم وتتيجة للاهمية المتزايدة التي تتمتع بها المستعمرات بالنسبة الى المتربولات يشتد الصراع بين الدول الامبريالية من اجل الاستحواذ على أكثر ما يمكن من هذه المستعمرات كما أشرنا . ويزداد تفاقم هذا الصراع وحدته بحيث يفضي الى النزاعات المسلحة لا على مستوى

---

(١٦) أنظر ص١١-١٢

دول محدودة فقط وانما على المستوى العالمي أيضاً بسبب التغييرات التي تحصل في توازن القوى بين الدول الامبريالية. فنتيجة للتطور الاقتصادي السريع واختلاف وتائر النمو الاقتصادي من دولة الى أخرى ، لاسباب وعوامل مختلفة، يتغير توازن القوى بين الدول الامبريالية وتلحق بعض هذه الدول ممن كان متخلفاً في تطوره بالدول الاخرى التي سبقته في مضمار التطور . وقد ظهرت نتيجة لذلك على المسرح الدولي قوى جديدة أخذت تنافس بريطانيا التي كانت أقوى دولة في العالم وصاحبة أكبر امبراطورية استعمارية : في ميدان القوة العسكرية وتتفوق عليها في مجال التطور الاقتصادي . وهكذا فاذا ما كانت بريطانيا في سبعينيات القرن التاسع عشر تحتل المركز الاول في خارطة العالم الصناعية فانها ابتداءً من ثمانينيات ذلك القرن أخذت تتراجع الى المركز الثاني لصالح الولايات المتحدة التي قفزت الى مركز الصدارة ، ولم تلبث بريطانيا ان تراجعت حتى عن مركزها الجديد هذا لصالح المانيا التي احتلت في بداية القرن العشرين المركز الثاني من حيث كمية الانتاج الصناعي العالمي . ان هذه الاختلافات الحادة في وتائر النمو الاقتصادي بين الدول الرأسمالية المختلفة تؤدي الى تغيير توازن القوى بين هذه الدول باتجاه يتناقض مع توزيع مناطق النفوذ فيما بينها لان الدول الامبريالية الفتية بعد ان تتطور وتحصل على القوة تبدأ

بالسعي للاستحواذ على جزء من الممتلكات الاستعمارية للدول الكولنيالية القديسة الامر الذي يؤدي الى التصادم بين الدول ويثير الحروب الاستعمارية .

وهكذا نجد ان كلاً من المانيا واليابان والولايات المتحدة تبدأ مساعيها الجادة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين للحصول على مستعمرات ومناطق للنفوذ على حساب الدول الاستعمارية القديمة ونعني بريطانيا وفرنسا وروسيا . وهكذا نجد أيضاً ان أول حرب قامت من اجل اعادة اقتسام العالم كانت الحرب التي شنتها الولايات المتحدة في ١٨٩٨ على اسبانيا بهدف الاستيلاء على مستعمراتها وتمكنت الولايات المتحدة بالفعل من السيطرة على الفليبين وبورتو ريكو وكوبا ، كما استولت في السنة ذاتها على جزر هوايي واستحوذت في ١٩٠٣ على منطقة قناة بنما وباشرت باحكام سيطرتها على اقطار امريكا الوسطى والجنوبية بمختلف الوسائل بما في ذلك التدخل المسلح ، ثم استغلت سياسة الباب المفتوح لتمهد لنفسها الطريق الى الصين التي كان منافسوها الامبرياليون من بريطانيا وفرنسا وروسيا واليابان والمانيا قد أقاموا لهم في نهاية القرن التاسع عشر مناطق للنفوذ . أما المانيا فقد شنت هجوماً مركزاً على مواقع بريطانيا وفرنسا وروسيا وحققت توسعاً ونفوذاً كبيراً في

الدولة العثمانية وفي بقية اقطار الشرقين الادنى والاوسط وكذلك في افريقيا والشرق الاقصى وكاد الصراع بينها وبين فرنسا من أجل الاستحواذ على المغرب أن يؤدي مرتين الاولى في عام ١٩٠٥ والثانية في عام ١٩١١ الى قيام نزاع مسلح على نطاق واسع[١٧] • ولم تتخلف ايطاليا واليابان عن السعي للتوسع الاستعماري فشنت الاولى حربها على الدولةالعثمانية في ١٩١١—١٩١٢ واستولت منها على طرابلس وبرقة وشنت الثانية حرباً على روسيا في ١٩٠٤—١٩٠٥ استولت بنتيجتها على شبه جزيرة لياودون وجنوب سخالين ثم تمكنت في ١٩١٠ من الاستيلاء على كوريا وسيطرت فعلياً على جنوب منشوريا (شمال شرق الصين) •

(١٧) عرفت الاولى بأزمة مراكش الاولى ١٩٠٥-١٩٠٦ وقد سويت خلال مؤتمر الجزيرة الذي عقد لهذا الغرض في مدينة الجزيرة الاسبانية من ١٥ كانون الثاني الى ٧ نيسان ١٩٠٦ والذي تمخض عن فشل دبلوماسي واضح لالمانيا حيث مهدت قراراته لفرنسا الطريق لانجاز الاستيلاء على المغرب • أما الثانية فقد عرفت بأزمة مراكش الثانية أو أزمة اغادير ١٩١١ التي سويت بعقد اتفاقية خاصة بين فرنسا والمانيا تنازلت فرنسا بموجبها لالمانيا عن جزء من الكونغو الفرنسي (٢٧٥ الف كم٢) واعترفت لها بالحق في سياسة « الباب المفتوح » في المغرب لمدة ثلاثين سنة مقابل اقرار المانيا بسيادة النفوذ الفرنسي في المغرب •

وقد تفاقم الصراع أيضا بين الدول الكولنيالية القديمة ذاتها أي بريطانيا وفرنسا وروسيا التي كانت بدورها تواصل سياسة التوسع الاستعماري حتى ان الحرب أوشكت أن تقوم بين بريطانيا وفرنسا بسبب حادثة فاشودا(١٨) ، كما توترت العلاقات بين بريطانيا وروسيا أكثر من مرة بسبب تصادم المصالح الاستعمارية للدولتين في ايران وافغانستان والشرق الاقصى .

لقد كان الصراع بين الدول الامبريالية من اجل اعادة اقتسام المستعمرات السبب الاساس في قيام الحرب العالمية الاولى ، وكانت المانيا وحلفاؤها هي الجانب الخاسر في تلك

---

(١٨) هي النزاع الذي قام بين بريطانيا وفرنسا عام ١٨٩٨ بسبب الصراع بين الدولتين من اجل السيطرة على وادي النيل والتسمية نسبة الى قرية فاشودا (كودوك حاليا) الواقعة في السودان والتي احتلها فصيل من القوات الفرنسية قدم من الكونغو الفرنسية ، طلبت بريطانيا في أيلول ١٨٩٨ سحبه من القرية . ورغم ان الحكومة الفرنسية رفضت في البداية هذا الطلب مما أدى الى تأزم العلاقات بين الدولتين واحتمال قيام الحرب بينهما ، إلا انها عادت وقررت في ٣ تشرين الثاني ١٨٩٨ سحب قواتها من فاشودا وتخلت عن الوصول الى النيل بسبب عدم استعدادها للحرب مع بريطانيا ولا سيما في البحر . وقد نالت فرنسا فيما بعد التعويض عن ذلك في افريقيا الوسطى وذلك بموجب اتفاقية ٢١ اذار ١٨٩٩ التي عقدتها مع بريطانيا .

الحرب كما هو معروف ولذلك اقتسمت الدول المنتصرة ممتلكات المانيا والدولة العثمانية التي كانت حليفة لها في الحرب فانتقلت المستعمرات الالمانية الى بريطانيا وفرنسا واليابان وبلجيكا والبرتغال ونيوزيلندا واتحاد جنوب افريقيا واستولت بريطانيا وفرنسا على اقطار الوطن العربي التي كانت خاضعة للدولة العثمانية •

غير ان الحرب العالمية الاولى أدت من ناحية أخرى الى اتساع حركة التحرر الوطني في المستعمرات حيث أضعفت العالم الرأسمالي وشقته وزادت من حدة التعارض بين المستعمرات والمتربولات فوضعت بذلك كله بداية للازمة التي أخذت الامبريالية تعاني منها منذ ذلك الوقت ، تلك الازمة التي ما فتئت تتعمق وتتسع منذ ذلك الحين • وقد انعكست هذه الازمة في تنامي واشتداد حركة التحرر الوطني في المستعمرات • وعلى نطاق الوطن العربي اشتدت الحركة القومية أيضاً نتيجة للتناقض الذي لمسه العرب بين الوعود التي منحها الحلفاء لهم أثناء الحرب وبين الواقع الذي فرضوه عليهم بعدها وبسبب اكتشافهم للخديعة التي ذهبوا ضحية لها عندما علموا ان الحلفاء كانوا يقتسمون الاقطار العربية فيما بينهم في نفس الوقت الذي كانوا يكيلون فيه للعرب وعود التحرر والاستقلال •وجاء وعد بلفور ١٩١٧ الذي أشر نية

بريطانيا في اقتطاع فلسطين وتسليمها للصهاينة ليزيد من نقمة العرب ويلهب مشاعرهم القومية .

لقد انتشرت بعد الحرب مباشرة موجة واسعة من حركات التحرر الوطني شملت الصين وكوريا والهند واندونيسيا ومصر والعراق وفلسطين وتركيا وايران وافغانستان ومنغوليا وجنوب افريقيا وغيرها من الاقطار الامر الذي اضطر الدول الامبريالية التي كانت تجهد للمحافظة على نظامها الاستعماري الى أن تعمد الى التمويه فاخترعت ما يسمى بنظام الانتداب وهدفها من ذلك خداع الشعوب التي كانت تطالب بعزم متزايد بالغاء النظام الكولنيالي . وهكذا وضع العراق وشرق الاردن وفلسطين وتنجانيقا وجزء من توغو والجزء الغربي من الكميرون تحت الانتداب البريطاني، وسوريا ولبنان والجزء الآخر من توغو والجزء الشرقي من الكميرون تحت الانتداب الفرنسي ورواندا واورندي تحت الانتداب البلجيكي ...الخ .

لقد بلغت السيطرة الاستعمارية الاوربية ذروتها في الحقبة التي أعقبت الحرب العالمية الاولى ففي ١٩٣٠ مثلا كان ٨٤٪ من يابسة الكرة الارضية تحت ادارة الغرب الاستعماري[١٩] . غير ان هذه الحقبة شهدت من الناحية

---

(19) R.W. Winks. "Imperialism". Encyclopedia Americana. Vol. 14. Grolier incorporated. 1982. P. 821.

الاخرى اشتداد أزمة النظام الكولنيالي ففيها ازداد نضال التحرر الوطني جماهيرية وتعزز تنظيمياً وأصبح يحظى باسناد فعال على المسرح الدولي وفي داخل البلدان الامبريالية نفسها . كما أدى التقدم الاقتصادي المحدود في المستعمرات الذي نجم عن توسع الدول الامبريالية في استغلال المستعمرات أكثر من السابق للتعويض عن خسائر الحرب ، أدى الى تشديد التعارض بين ما يتطلبه الوضع الاقتصادي في المستعمرات من التطور على أساس قومي مستقل ، وسيادة الاحتكارات الاجنبية التي كانت تعمل جاهدة على المحافظة على التأخر والركود في المستعمرات . وكان من نتيجة التطور المحدود الذي حدث في المستعمرات نتيجة لتشديد وتوسيع الاحتكارات الاجنبية لعملياتها الاستقلالية ان ظهرت في المستعمرات قوى اجتماعية جديدة هبت للنضال ضدالسيطرة الاستعمارية ونعني بها المثقفين الوطنيين والبرجوازية الوطنية والعمال ، كما ان اشتداد التناقضات بين المستعمرات والمتربولات يؤدي الى انخراط الفلاحين والفئات الفقيرة الاخرى في الريف والمدينة في النضال الوطني فيصبحون القوة الجماهيرية الاساسية في الحركة التحررية . وأعطت الازمة الاقتصادية العالمية ١٩٢٩ـ١٩٣٣ زخماً جديداً لحركة التحرر الوطني في المستعمرات ذلك انها أضعفت الدول الامبريالية

ودفعتها الى التوسع في استغلال المستعمرات الامر الذي ولد رد فعل انعكس في تتالي واتساع الحركة التحررية •

وهكذا أجبر نضال الشعوب في البلدان المستعمرة (بفتح الميم) والتابعة الامبرياليين على القيام ببعض التنازلات والاستجابة لبعض مطاليب الحركة الوطنية ، وهذا ما حدث مثلا في الهند واقطار الهند الصينية والفليبين • وكانت حصيلة ذلك في الوطن العربي استقلال العراق ومصر من الناحية الرسمية ولكنه كان استقلالا تحكمه معاهدات اشترطت استمرار الوجود العسكري والنفوذ لبريطانيا ولم يؤثر على مكانة بريطانيا وسيطرتها على المنطقة ، ولهذا فان النضال الوطني استمر وتواصل في هذين القطرين العربيين حتى بعد حصولهما على الاستقلال الرسمي • على أية حال لم تؤد التنازلات التي قامت بها الدول الامبريالية لصالح الحركات التحررية في مختلف الاقطار الى النتيجة التي أرداها الامبرياليون ولم تخفف من التصادم بينهم وبين شعوب الاقطار المستعمرة (بفتح الميم) •

لقد حصلت بعد الحرب العالمية الاولى تغييرات جوهرية في الخارطة الاقتصادية للعالم الرأسمالي وانخفضت بشكل ملحوظ وتائر التطور الاقتصادي للبلدان الرأسمالية فلم يتعد المتوسط السنوي لنمو الانتاج الصناعي لهذه البلدان في المدة

من عام ١٩١٣ الى عام ١٩٣٨ مثلا ٣٪ في حين انه كان في المدة من عام ١٩٠١ الى عام ١٩١٣ ٥٪ • وزاد بعد الحرب الوزن النوعي للولايات المتحدة في الاقتصاد العالمي بشكل ملحوظ حتى انها انتجت من البضائع الصناعيـة في ١٩٢٥ بقدر مـا انتجته بريطانيا وفرنسا والمانيا مجتمعة[٢٠] • وازداد وضعها المالي متانة أيضاً نتيجة للقروض الكبيرة التي قدمتها للحلفاء أثناء الحرب وتحولها الى أكبر دائن لهم • وقد أدى ذلك كله الى زيادة قوة الولايات المتحدة على المسرح الدولـي بحيث تحولت الى أكبر منافس لبريطانيا ، وقد استطاعت من خـلال هذه المنافسة أن توسع نفوذها في كندا واستراليا وأن تجعل بريطانيا تخسر موقعها المسيطر على البحار • أما المانيـا فقد تمكنت بفضل القروض الامريكية والبريطانيـة من تجـاوز التدمير الذي أصابها في الحرب فاستطاعت في الثلاثينيات أن تصل مرة أخرى الى المركز الثاني في العالم الرأسمالي مـن حيث حجم الانتاج الصناعي ، الامر الذي حفزها لان تطـرح مجدداً قضية استعادة مستعمراتها السابقة والحصـول على مستعمرات جديدة ودفعها للسعي من أجل الحصول بالفعـل على هذه المستعمرات • وقد أصبحت هـذه القضية ونعنـي مطالب المانيـا في الحصول على المستعمرات سـمة مركزية

---

(20) Leontev, Op. Cit. P. 812.

لسياسة الحكومة الالمانية بعد أن تولى الحزب النازي الحكم في المانيـا •

وهكذا اشتدت مرة أخرى المنافسة بين الدول الامبريالية واشتد الصراع فيما بينها في مجال السياسة الكولنيالية، ومن أجل الحصـول على المستعمرات ، فكانت المانيـا وايطاليا تطمعان بمستعمرات بريطانيا وفرنسـا في آسيا وافريقيـا ، واليابان تسعى للاستحواذ على ممتلكات الولايات المتحـدة وبريطانيا وفرنسا في الشرق الاقصى وفي جنوب شرق آسيا ولهذا نجدها تغزو الصين في ١٩٣١ وتعاود غزوها مرة أخرى في ١٩٣٧ وتعلن حرباً هدفها الاستيلاء على الصين بأجمعها • وغزت ايطاليا من جانبها أثيوبيا واحتلتها في ١٩٣٥—١٩٣٦ • لقد كان الصراع الذي احتدم بين الدول الاستعمارية من أجل المستعمرات ومناطق النفوذ مرة أخرى أحد الاسـباب التي أدت الى قيام الحرب العالمية الثانية •

لقد أدت الحرب العالمية الثانية الى أن يشـتد ويتعمق التفاوت في تطور الدول الرأسمالية المختلفة فتغير توازن القوى لصالح الولايات المتحدة أكثر من السابق فزاد وزنها النوعي في الانتاج الصناعي والتجارة الخارجية وتصدير رأس المـال وأصبحت الدعامـة الاساسية للقـدرة العسكرية العامـة للامبريالية ، وفي الوقت نفسـه تقلص دور المانيا واليـابان

وايطاليا بسبب خسارتها في الحرب لكن هذه الدول لم تلبث ان استعادت بعد مدة مواقعها السابقة في الوقت الذي بدأ فيه النمو الاقتصادي في الولايات المتحدة يسير بوتائر أبطأ من السابق رغم انها ما تزال البلد الرأسمالي الاول .

أشرت الحرب العالمية الثانية وكذلك المرحلة التي تلتها بداية مرحلة جديدة للازمة التي كان النظام الكولنيالي يعاني منها ، مرحلة أفضت الى تدهوره واضمحلاله ، فقد أدت الحرب الى تحطيم النازية في المانيا والفاشية في ايطاليا والعسكرية في اليابان والى اضعاف الدول الامبريالية كلها تقريباً ، ذلك ان متطلبات الحرب الملحة أجبرت الدول الامبريالية على أن تقيم في المستعمرات عدداً محدوداً من المشاريع الصناعية الامر الذي أدى الى ان يزداد عددالطبقات والفئات الاجتماعية المعادية للاستعمار ويتسع الدور الذي تؤديه في النضال ضد الاستعمار . فقد اتسعت فئة المثقفين الوطنيين وازداد نشاطهم السياسي وازداد عدد العمال واتسع الدور الذي يقومون به في الكفاح ضد السيطرة الاجنبية وبرز دور البرجوازية الوطنية التي كان احساسها بضغط الرأسمال الاجنبي يزداد بمقدار ما كانت تنمو ويزداد نشاطها . والى جانب ذلك كانت الدول الغربية قد جندت مئات الالوف من سكان المستعمرات وأرسلتهم الى جبهات

القتال حيث حاربوا تحت الشعارات الديموقراطية التي رفعها الحلفاء في أثناء الحرب ولهذا فانهم بعد أن عادوا الى بلدانهم عند انتهاء الحرب أخذوا يحسون بالظروف اللاانسانية السائدة هناك ، الامر الذي دفعهم الى العمل بنشاط متزايد من أجل تحسين الاوضاع في بلدانهم ونشر المفاهيم الديموقراطية والمعادية للاستعمار بين مواطنيهم . ولا يفوتنا أن نذكر ان الشعوب في كثير من اقطار آسيا المستعمرة (بفتح الميم) كاندونيسيا والملايو وبورما وفيتنام والفليبين شنت مقاومة مسلحة خلال الحرب ضد المحتلين اليابانيين وصنائعهم فلا يعقل أن ترضى هذه الحركات المسلحة بعد الحرب بمجرد ابدال الاستعماريين القدامى بغيرهم من المستعمرين من الدول الاخرى . يضاف الى ذلك ان الاهداف التحررية والديموقراطية التي أعلنها الحلفاء أثناء الحرب لاقت المساندة من جانب شعوب البلدان المستعمرة (بفتح الميم) والتابعة فساعدت بشكل موضوعي على تعزيز نضال هذه الشعوب ضد السيطرة الاستعمارية . كل هذه العوامل ساعدت على اتساع نضال التحرر الوطني وعملت على توسيع وتعميق حركة التحرر الوطني لدرجة لم يسبق لها مثيل فكان ذلك الى جانب استقلال عدد من اقطار آسيا واوربا وخروجها من النظام الرأسمالي قد أوجد الظروف الموضوعية لتعمق أزمة النظام الكولنيالي فأصبحت الدول الامبريالية التي أنهكتها

الحرب عاجزة عن قمع حركة التحرر الوطني في المستعمرات.
وكانت الولايات المتحدة في هذه المرحلة هي الدولةالامبريالية الوحيدة التي كان لها من القوة ما يؤهلها لان تدعم النظام الكولنيالي فأخذت بالفعل تسعى لان تبسط سيطرتها الامبريالية مستغلة ضعف الدول الامبريالية القديمة ولكنها جابهت في ذلك عقبات يصعب تذليلها ، فاضافة الى مشاكل ما بعد الحرب سواء الداخلية منها أو الخارجية انهمكت الولايات المتحدة في صراع عنيف مع الاتحاد السوفياتي الذي ازدادت قوته وأخذ في خضم صراعه معها يشجع ويدعم حركات التحرر الوطني ويدعمها. كذلك كان عليها أن تحارب الثورات الاجتماعية التي أخذت تشهدها بلدان العالم الثالث والتي يمكن أن تنأى بتلك البلدان عن الاستغلال الامبريالي الذي كانت الولايات المتحدة تسعى اليه عبر علاقاتها وتجارتها غير المتكافئة مع تلك البلدان .

وهكذا بدأ النظام الكولنيالي بالتفكك والانهيار وبدأت المستعمرات تستقل الواحدة بعد الاخرى وتكوّن دولها القومية الخاصة بها . وكانت هذه العملية سريعة الى درجة بحيث استقلت من الامبراطورية الاستعمارية البريطانيةوحدها في الحقبة من ١٩٤٧ الى ١٩٦٣ اقطار يقطنها ٧٥٠ مليون من السكان[٢١] . لقد بدأت هذه العملية في أول الامر في آسيا

(21) Winks, Op. Cit. P. 821.

ثم انتشرت بعد ذلك الى افريقيا ومناطق العالم الاخرى فاستقلت في العقدين اللذين أعقبا الحرب العالمية الثانية العشرات من الدول وتحرر الكثير من مناطق العالم ، فاذا ما كانت نسبة مساحة المستعمرات والبلدان التابعة الى مساحة العالم في عام ١٩١٩ تعادل ٢ر٧٧٪ وسكانها يؤلفون ٢ر٦٩٪ من سكان العالم فانها في عام ١٩٦١ لم تعد تؤلف إلا ٥ر١٠٪ من مساحة العالم و٨ر٢٪ من سكانه[٢٢] ، علماً بأن الكثير من المستعمرات حصلت على استقلالها أيضاً بعد ١٩٦١ وما تزال هذه العملية مستمرة حتى الوقت الحاضر وكانت آخرحلقاتها حتى الآن الاقرار باستقلال ناميبيا مؤخراً • وكانت حصيلة ذلك بالنسبة الى العرب هي الاقرار باستقلال سوريا ولبنان في ١٩٤١ واستقلالهما الفعلي بعد جلاء القوات الاجنبية منهما في العام ١٩٤٦ واستقلال الاردن في ١٩٤٦ وانتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين في ١٩٤٨ بالشكل المأساوي المعروف الذي أدى الى قيام الكيان الصهيوني في فلسطين باسناد فعال من بريطانيا ، وكذلك استقلال الاقطار العربيةفي افريقيا حيث استقلت ليبيا في ١٩٥١ والمغرب وتونسفي١٩٥٦ والسودان في ١٩٥٦ والصومال وموريتانيا في ١٩٦٠والجزائر في ١٩٦٢ ، ثم جاء بعد ذلك دور جيبوتي •

(22) Leontex, Op. Cit. P. 814.

في مثل هذه الظروف كان لا بد للدول الامبرياليــة من البحث عن أساليب جديدة للمحافظة على سيطرتها الامبريالية في ظل المتغيرات الجديدة ، وهنا يبرز الـ

أو الاستعمار الجــديد الذي يقول عنه البــاحث الامريكي هاري ماجرون بأنه يعني « وجود تأثير أجنبي ملحوظ لدولة مستقلة اسمياً ، وهذا يعني بشكل أدق وجود درجة عالية من التأثير في الشؤون السياسية والاقتصادية لبلد ما من قبل دولة أجنبية أو مصالح تجارية أجنبية مما ينتج عنه أيضاً تأثــير في النهج السياسي والسياسة العســكرية وبالاضافة الــى ذلك يستعمل هــذا المصطلح ليشــير الى سيطرة ثقافــة القوى الاستعمارية السابقة وقيمها »[٢٣] ، أما الباحث الســوفياتي اسكنديروف فيعرفه بقوله انه «عبارة عن استمرار للاستغلال الامبريالي لشعوب الاقطــار المتأخرة اقتصــادياً بوســائل جديدة »[٢٤] . والواقع ان المقصود بالاستعمار الجديد هو السياسة الكولنيالية التي تنتهجها الدول الامبريالية في ظروف تفكك وانهيار النظام الكولنيالي وتعاظم حركة التحررالوطني حيث تعمد الدول الامبريالية الى المحافظة على جوهر السيطرة

---

(٢٣) المصدر السابق ص٨١-٨٢

(24) A.A. Iskenderov, Natsionalno-Osvoboditelnoe Dvizhenie, Problemy, Zakonomernosti, Perspekmivi, Moskva 1970, str. 189.

الكولنيالية باللجوء الى أساليب اقتصادية وسياسية وعسكرية وثقافية جديدة تنسجم مع الظروف الجديدة وهدفها اخضاع الاقطار المتحررة حديثاً (أي المستعمرات والبلدان التابعة سابقاً) الى السيطرة الفعلية للامبريالية . ان الاستعمار الجديد هو مجموع الاساليب التي تستخدمها الدول الامبريالية لابقاء البلدان الضعيفة التطور ضمن اطار الاقتصاد الرأسمالي العالمي موضوعاً للاستغلال الاقتصادي والضغط السياسي. ولا تقتصر هذه الاساليب على ناحية واحدة بل تشمل نواحي الحياة كافة في الاقطار المراد ابقاؤها تحت السيطرة الامبريالية، ففي المجال الاقتصادي تعمل الدول الامبريالية ، الى جانب المحافظة على التخلف الشديد الذي تعاني منه تلك الاقطار ، على المساعدة المحدودة على تطور الرأسمالية الوطنية ولكن بحدود لا تهدد الوضع السائد الذي تتمتع به الدول الامبريالية في الاقتصاد الرأسمالي العالمي وهدفها من ذلك اعاقة انتقال الاقطار المستقلة حديثاً الى طريق للتطور يخرج عن حدود النظام الرأسمالي ، وتؤدي المساعدات الاقتصادية التي تقدمها الدول الرأسمالية المتقدمة للاقطار النامية دوراً كبيراً في هذا المجال حيث انها تستخدم من قبل تلك الدول وسيلة للضغط على الدول النامية وارغامها على الاذعان لنفوذها الاقتصادي والسياسي ، فبالاضافة الى ان ما يصرف على الامور غير الانتاجية من هذه المساعدات يبلغ نسبة عالية منها قد تصل

الى ٧٥٪ في بعض الاحيان فان الاقطار النامية التي تتلقى هذه المساعدات لا تستطيع في كثير من الاحيان ان تصرفها إلا بتوجيه من الجهات التي قدمتها وبموافقتها ، وهذه الجهات تحرص عادة على ان لا تصرف المساعدة التي تقدمها إلا في أوجه من شأنها أن تعرقل الصناعة الوطنية في الاقطار النامية ولاسيما انتاج وسائل الانتاج وبطريقة من شأنها أن تضر بالزراعة وتؤدي الى تفاقم أزمة انتاج المواد الغذائية ، كما ان هذه المساعدات تكون وسيلة ملائمة للدول الامبريالية لارسال أعداد كبيرة من الاخصائيين والخبراء يتسربون الى مراكز حساسة في ادارة الاقتصاد والمالية والتجارة والتعليم والصحة وغيرها في الاقطار النامية .

أما في المجال الاجتماعي فيتميز الاستعمار الجديد بالسعي الى الاتفاق مع البرجوازية الوطنية مع المحافظة جهد الامكان على العلائق مع العناصر الاقطاعية والكومبرادورية[٢٥] السند التقليدي للاستعمار . انه يسعى جاهداً لان يدفع البرجوازية الوطنية ولا سيما فئاتها العليا لان تتخلى عن

---

(٢٥) الكومبرادوريون هم تلك الفئة من برجوازية المستعمرات واشباه المستعمرات التي تعمل في مجال الوساطة التجارية بين الشركات الاجنبية والسوق الداخلي فتكون بذلك مرتبطة بالراسمال الاجنبي ، والتسمية متأتية من الكلمة الاسبانية comprador التي تعني ـ مشتري .

الكفاح من أجل الاستقلال الاقتصادي ملوحاً لهـا بتنازلات يقوم بها لصالحها .

ومن الناحية الاخرى تحاول الدول الامبريالية في ظـل الاستعمار الجديد أن تحقق سيطرتها السياسية والعسكرية عن طريق جذب الـدول المستقلة الى التكتلات العسكرية والمحافظة على القواعد العسكرية القديمة وانشـاء أخرى جديدة على أراضي تلك الدول ومحاولة استخدام المنظمـات الاقليمية المختلفة لمصلحتها وعقد المعاهدات الثنائية التي ترسخ امتيازات الامبرياليين بما يسيء الى استقلال الدول الفتيـة، والسعي لتقسيم وتجزئة الوطن القومي للامـم والشعوب أو اقامة اتحادات مصطنعة وتنصيب انظمة عميلة وتعميق واستغلال الخلافات الطائفية واثارة النزاعات الاقليمية وغير ذلك .

ويسعى الاستعمار الجديد أيضاً الى التغلغـل الثقـافي في الاقطار النامية وذلك عن طريق عدد كبير من المؤسسـات والجمعيات والمعاهد الثقافية والفنية التي تقوم بمهمة الدعاية والترويج للاستعمار بأشـكال ذكية ومدروسة . ويـؤدي النشاط التبشيري دوراً ملحوظاً في هذا المجال حيث تعمـد الدول الامبريالية الى استغلال الجمعيات التبشيرية وتوجهها للتأثير في الشعوب المستعمرة (بفتح الميم) على نحـو يسـمح ببقاء الاوضاع الاستغلالية القائمة ويعيق حركات التحـرر

الوطني على أن يجري كل ذلك بحذر شديد وبطريقة غير مباشرة . وليس هناك في توضيح النظرة الاستعمارية لدى بعض المبشرين ، أبلغ من النص التالي الذي كتبه أحد كبار المبشرين الالمان في كتاب له صدر عام ١٩٥٤ . لقد كتب هذا المبشر يقول : « ان الرجل الابيض في حاجة الى افريقيا . ان هذه القارة أصبحت مركزاً خارجياً لاوربا لا يمكن ببساطة التخلي عنه خاصة بعد أن فقدنا آسيا نتيجة خطئنا الخاص . ان افريقيا في غاية الاهمية لاوربا ومصلحتنا تدعونا الى عدم التخلي عنها ومن الحماقة أن نتجاهل هذه الحقيقة ... اننا نحتاج الى هذه القارة لخلاص اوربا ، ولاننا نريدها على هذا النحو فلا يمكن أن نتنازل عنها للآخرين ان لم يكن لأي سبب آخر فللمحافظة على الذات »(٢٦) .

ان الاستعمار الجديد يستخدم كل ذلك وغيره من اساليب الى جانب الاساليب الكولنيالية التقليدية كالضغط العسكري المباشر والتدخل المكشوف والعدوان المسلح وما أشبه . يكفي أن نتذكر في هذا المجال عدوان الولايات المتحدة على فيتنام وانزال مشاة البحرية الامريكية في جمهورية الدومنيكان والعدوان الثلاثي على مصر والتدخل البريطاني

---

(٢٦) نقلا عن : محمد العزب موسى ، « أساليب الاستعمار الالماني الجديد » ، _ الكاتب . العدد ٥١ السنة الرابعة _ يوليو ١٩٦٥ ، ص ٩

والامريكي والبلجيكي في الكونغو والتدخل العسكري الامريكي في غرينادا وغير ذلك . ولكننا ينبغي أن تتذكر بأن الدول الامبريالية تستخدم العنف العسكري الآن لا من أجل حماية السيطرة السياسية أو فرضها وإنما بهدف خلق وتأمين الظروف للوصول الى حل يتوافق مع الاستعمار الجديد وان هذا التدخل العسكري لا تلجأ اليه الدول الامبريالية إلا عندما لا يكون هناك طريق آخر لتحقيق هذا الهدف ، بل وحتى الحروب التي شنتها الامبريالية في المرحلة التي كانت فيها الانظمة الكولنيالية ما تزال قائمة كالحرب التي شنها الامبرياليون الانجليز ضد شعب كينيا والحرب التي شنوها على شعب الملايو وغيرها كان هدفها لدرجة كبيرة هو كسب الوقت وتهيئة الظروف اللازمة لان يسير تطور تلك الاقطار بعد اعلان استقلالها باتجاه يلائم الاوساط الاستعمارية .

لقد برزت الولايات المتحدة كأهم وأقوى دولة امبريالية بعد الحرب العالمية الثانية وكان دورها العالمي الواسع أهم عامل في تطوير الاستعمار الجديد . لقد تهيأت الولايات المتحدة لهذا الدور نتيجة لعدد من العوامل تتعلق بتطورها التأريخي فمن المعروف انها كانت حتى سبعينيات القرن الثامن عشر عبارة عن مستعمرة انجليزية الامر الذي أعاقها عن الدخول الى ميدان التطور الرأسمالي والامبريالي في وقت

مبكر وأدى بها الى أن تتأخر عن بقية الدول الامبريالية في هذا المجال . ولكنها وبمجرد ان تحررت من السيطرة الانجليزية باشرت بعملية التوسع الاستعماري واستطاعت أن تحصل على بعض المستعمرات مثل بورتوريكو والفليبين وجزر هاوايي وغيرها ، ولكنها مع ذلك لم تستطع أن تنافس الدول الاستعمارية القديمة ولا سيما بريطانيا وفرنسا في هذا الميدان فلقد ظلت ممتلكاتها الاستعمارية ضئيلة جداً بالقياس الى ممتلكات هاتين الدولتين بحيث لم تكن تؤلف قبل الحرب العالمية الثانية إلا ما يقارب ١٪ من ممتلكات بريطانية و١/٤٠ من ممتلكات فرنسا[٢٧] وقد أرادت الولايات المتحدة أن تعوض عن هذا النقص فعمدت الى أساليب جديدة في السيطرة غير المباشرة تمكنها من انشاء امبراطورية كولنيالية « غير منظورة » كما يصفها بعض الباحثين ، ودخلت على هذا الاساس في صراع حاد مع الدول الاستعمارية القديمة . وجاءت الحرب العالمية الثانية وما أفرزته من نتائج فسهلت للولايات المتحدة تحقيق هذا الهدف ذلك ان الولايات المتحدة كانت الدولة الوحيدة بين الدول الكبرى التي لم تتأثر اقتصادياً في الحرب بل على العكس تمكنت من استغلال ظروف الحرب لجني رؤوس أموال طائلة . وفي الوقت الذي أدت فيه الحرب

---

(27) Iskenderov, Op. Cit. P. 192.

الى تكديس الثروات في الولايات المتحدة أشاعت الركـود في اقتصاد بريطانيا وفرنسا اللتين كانتا في السابق أقوى دولتين استعماريتين ، الامر الذي وفر للولايات المتحـدة امكانيـة تزعم العالم الرأسمالي فأخذت تسعى لا لاخضاع المستعمرات لوحدها بل والمتربولات أيضـاً • وبما ان الظروف الدوليـة كانت قد تغيرت ولم تعد أشكال الادارة الاستعمارية المباشرة القديمة تتلاءم والواقع الجديد فقد أراد استعماريو الولايات المتحدة تحقيق نواياهم تلك بطرق وأساليب جديدة تنسـجم مع الظروف الجديدة وطرحوا خلال ذلك ما يسمى بنظريـة الفراغ التي مفادها ان هناك فراغاً قد تكون في الاقطار التي كانت مناطق لنفوذ بريطانيا وفرنسا في السابق ،بعد أن أصاب الضعف هاتين الدولتين وتقلص دورهما العالمي وان الولايات المتحدة مدعوة ، بسبب ذلك ، الى ان تمـلأ هذا الفراغ • وكان من نتيجة ذلك ان دخلت الولايات المتحدة في منافسـة حادة مع الدول الاستعمارية القديمة وفي صراع حاد معها •

غير انه على الرغم من الصـراع القائم بين الامبرياليين والتنافس الحـاد فيما بينهم إلا انهم في ظروف الاسـتعمار الجديد يحاولون أن يوحدوا جهود الدول الامبريالية كلها في مكافحة حركة التحرر الوطني وفي التعاون المشترك لاستغلال الاقطار النامية •وفي هذا السياق يمكن فهم مشروع اورافريقيا الذي يرمي الى ايجاد رابطة مشـاركة اقتصادية بين اوربـا

وافريقيا تقوم فيها افريقيا بدور المورد للسواد الخام وتقدم اوربا خبرتها الفنية وقدراتها الاقتصادية والذي طرحت فكرته لاول مرة منظمة التعاون الاقتصادي الاوربي في أيلول ١٩٥٢ ٠ وعندما فشل المشروع بسبب النجاحات التي حققتها حركة التحرر الافريقية وتنبه شعوب افريقيا لاساليب الاستعمار الجديد ونضالها ضدها ظهرت الفكرة مرة أخرى وحققت هذه المرة بعض النجاح من خلال السوق الاوربية المشتركة ، التي مكنت الدول المشتركة فيها من الاستغلال المشترك لمستعمرات الدول الاعضاء ٠ لقد أصبح الاستغلال المشترك للاقطار النامية من قبل الدول الامبريالية واحدة من الخصائص الاساسية للاستعمار الجديد في المرحلة الراهنة ، فقد دفع تنامي دور الدول المتحررة في النضال المعادي للامبريالية من جهة وتشابك مصالح الدول الامبريالية في الاقطار النامية من جهة أخرى ، الامبرياليين الى السعي الى توحيد جهودهم في هذا المضمار فقامت على أساس ذلك العديد من المنظمات الاقتصادية المشتركة التي عمدت الى تكبيل بعض الاقطار النامية اقتصادياً وذلك بدفعها الى أن تدخل معها في العديد من المواثيق والاتفاقيات الاقتصادية التي ظاهرها المشاركة والتعاون الاقتصادي وحقيقتها الاستغلال ٠ من هذه المنظمات مثلاً ما يسمى بـ « اللجنة الثلاثية » التي تضم ممثلين عن رجال الاعمال والمصرفيين وكبار المحامين من

الولايات المتحدة واوربا واليابان والتي شكلت بهدف السعي لوضع سياسة موحدة تتفق عليها هذه المحاور الثلاثة تجاه الاقطار النامية . ومن هذه المنظمات أيضاً ما يعرف « بسنظمة التعاون الاقتصادي والتطور » التي شكلت للغرض نفسه والتي تشترك فيها جميع الاقطار الرأسمالية المتقدمة ، وغير ذلك من المنظمات . ولا بد ان نلاحظ بأن الاتجاه نحو التعاون المشترك بين دول الاستعمار الجديد غالباً ما يظهر أيضاً على شكل تكتلات عسكرية بهيئة قوات متعددة الاطراف يراد لها أن تكون أداة لتنفيذ متطلبات تلك الدول ، وفي حالات أخرى تقوم دولة واحدة من الدول الامبريالية بما يلزم مؤيدة بدعم سياسي بل وحتى مادي في بعض الاحيان ، من جانب حلفائها الآخرين .

لقد أدى ظهور هذه السياسة ، ونعني سياسة الاستغلال المشترك للمستعمرات وأشباه المستعمرات السابقة الى ابتداع طرق ووسائل جديدة لتنفيذ هذه السياسة وقد تمثلت هذه الطرق والاساليب بالاشكال الجديدة التي بدأ يتخذها تصدير رأس المال ونعني : انشاء الشركات المختلطة والصناديق الدولية المختلفة والشركات والبنوك المتعددة الجنسية وغير ذلك من الوسائل والاساليب .

ولكن مهما كانت الاساليب التي يلجأ اليها الاستعمار لاطالة أمد وجوده فان الشعوب قادرة على كشفها وافشالها .

ان عصرنا الحاضر هو بحق عصر الشعوب ، عصر التحرر القومي ، عصر انهيار النظام الكولنيالي وانتهائه الى غير رجعه . لقد حصلت الآن الاغلبية الساحقة من المستعمرات السابقة على استقلالها السياسي والبقية الباقية وهي قليلة جدا في طريقها الى الحصول عليه حتى ليمكن القول الآن بأن السيطرة السياسية للاستعمار قد انتهت بالفعل من عالم اليوم .

غير ان تفكك النظام الكولنيالي وانهياره واستقلال المستعمرات السياسي لا يعني انتهاء الاستغلال الاستعماري نهائياً فالامبرياليون ظلوا يحتفظون بمواقع اقتصادية مهمة بل وسائدة في بعض الاحيان في الكثير من الاقطار المتحررة حتى بعد حصول هذه الاقطار على الاستقلال . ففي فنزويلا مثلاً كانت الاحتكارات الاجنبية تسيطر على ٨٠٪ من صناعة التعدين و٧٠٪ من الصناعة النفطية و٧٠٪ من صناعة البناء و٣٥٪ من التجارة الداخلية في حين يسيطر الاجانب على ٦٠٪ من صناعة استخراج القصدير في ماليزيا وعلى ٩٨٪ من المشاريع الصناعية في السنغال . ولم تتخذ بعض الاقطار التي كانت مستعمرة في السابق واستقلت حديثاً الاجراءات الكفيلة بالحد من تغلغل الرأسمال الاجنبي الامر الذي مكن الامبرياليين من التوسع في تصدير رؤوس الاموال واستثمارها في هذه الاقطار ففي الهند مثلا ازداد حجم الاستثمارات الاجنبية من

١٩٤٨ الى ١٩٦٠ بمقدار مرتين (من ٢٥٥٨ مليون روبية الى ٥٦٦٤ مليون روبية)[٢٨] ، وقد ازداد هذا الاتجاه ـ ونعني توسع الامبرياليين في تصدير رؤوس أموالهم واستثمارها في الاقطار النامية ـ اتساعاً في السبعينيات والثمانينيات ، فاحصاءات بنك الانشاء والتعمير الدولي تشير الى أن رأس المال الاجنبي الخاص المستثمر في الاقطار النامية التي يكون معدل دخل الفرد السنوي فيها متوسطاً (أي أكثر من نصف الاقطار النامية حسب مقاييس البنك المذكور) ازداد في ١٩٧٠ــ١٩٧٥ بمقدار ٣٠٪ واستمر على الزيادة بعد ذلك بحيث ارتفع من ٢٦ مليار دولار في ١٩٧٥ الى ٤٥ مليار في ١٩٨٠ وكان مؤملا أن يصل في ١٩٨٥ الى ٨٠ مليار دولار[٢٩] .

وفضلا عن ذلك فان بعض الاقطار المتحررة حديثاً أخذت تجابه لاسباب مختلفة مصاعب جمة في مساعيها لتذليل تأخرها الصناعي وفي محاولاتها لزيادة انتاجها الزراعي الامر الذي حولها من مصدر للغذاء الى مستورد له ، فقداستوردت الاقطار النامية على ما تذكره منظمة الغذاء والزراعة التابعة

(28) Brutents, Novaya Forma Porabosheniya Narodov... str. 13-14.

(29) Quoted in V.V. Vakhroshev. Natsionalno-Osvoboditelnoe Dvizhenie Protiv Neokolonialisma. Moskva 1986, str. 52-53.

للامم المتحـــدة في ١٩٦٦ مواداً غـــذائية بما يقرب من ٤٥٠٠ مليون دولار وهو مبلغ يزيد بمقدار ٤٪ على المبلغ الذي انفق للغرض نفسه في العام ١٩٦٥[٣٠] .

ان ذلك يوفر للامبريالية ارباحاً هائلة تجنيهـــا بفضل تجارتها غير المتكافئة مع الاقطار الناميـــة واستثمار رؤوس أموالها في تلك الاقطار ، فقد بلغ مجمل الارباح السنويةالتي تحصل عليها الامبريالية من الاقطار النامية بسبب التبادل غير المتكافىء وأرباح رأس المال المستثمر ٢٠ مليار دولار وهـــو مبلغ يساوي ١/٦ مجموع ناتجهـــا القومي على ما يذكـــره الباحث السوفياتي اسكنديروف في كتابه عن حركة التحـــرر الوطني الصادر في ١٩٧٠[٣١] . كما ان ذلك من شأنه أن يضع بيد الامبريالية وسائل جديدة ويوفر لها امكـــانات اضافيـــة للضغط السياسي واملاء الشروط على الاقطار النامية ، الامر الذي يجعل النضال من أجل الاستقلال الاقتصادي ضـــرورة لا غنى عنها بالنسبة الى الاقطار المستقلة حديثاً ذلك انه بدون الاستقلال الاقتصادي لن تكون للاستقلال السياســـي المنعة والرسوخ المطلوبين .

---

(30) Quoted in Brutents. Novaya Forama Porabosheniya Narodov... str. 14.

(31) Iskenderov, Op. Cit. P. 197.

ان المهمة التي تواجه شعوب الاقطار النامية إذن هي تحقيق الاستقلال الاقتصادي وقطع الخيوط الكثيرة التي تشد اقتصادها الى اقتصاد الدول الامبريالية وتكوين اقتصاد قومي مستقل ومتطور واجراء اصلاحات اجتماعية جذرية للتخلص من التركة الثقيلة التي خلفتها سنوات السيطرة الامبريالية ورفع مستوى الجماهير الشعبية المعاشي وتطوير الثقافة القومية ، وباختصار السعي لتحقيق كل ما من شأنه أن يطور البلد ويدفعه الى اللحاق بركب الدول المتقدمة ليمارس دوره الطبيعي بين الامم ويشارك في رسم المستقبل النيّر له وللبشرية جمعاء .

كانت الاوساط الاستعمارية في الدول التي انتهجت سياسة التوسع الاستعماري بحاجة على الدوام لان تدعم سياستها الاستعمارية فكرياً ولان تقيمها على أساس ايدولوجي متين وذلك للتأثير على شعوب الدول الاستعمارية واقناعها بجدوى وأحقية هذه السياسة من جهة ولتخدير الشعوب التي تستعبدها وتستعمر اقطارها وايهامها بافضليات الاستعمار من جهة أخرى . وهكذا انبرى عدد من الكتاب والمؤرخين الرومان لتمجيد السياسة التوسعية التي مارستها روما القديمة مؤكدين « تفوق » الحضارة الرومانية و « بربرية » الشعوب التي أخضعتها روما .

ومع بداية العصور الحديثة وظهور الرأسمالية وقيامها بخطواتها الاولى في مجال التوسع الكولنيالي طرح سلاح جديد لدعم التوسع الكولنيالي ، ونعني العنصرية التي أصبحت السلاح الرئيس بيد المستعمرين (بكسر الميم) حيث ظهرت وانتشرت نظرية تؤكد « عدم أهلية الشعوب الملونة » و « عدم قابليتها » للتطور المستقل الامر الذي يلقي على عاتق الجنس الابيض «رسالة تاريخية» هي أن يسود هذه الشعوب ويعمل على تقدمها وتحضرها . وهكذا أعطي للمفهوم الذي كان شائعاً من قبل في الاوساط الاستعمارية ونعني مفهوم « المهمة التحضيرية » التي يضطلع بها الشعب السائد معنى عنصرياً فأخذ الكتاب والباحثون يصورون الكولنيالية على انها « عبء » أخذه الرجل الابيض على نفسه علماً بأن كلاً من هؤلاء الكتاب والباحثين كان في خلال ذلك يمتدح شعبه ويؤكد تفوقه وأحقيته في القيام بتلك «المهمة التحضيرية» .

وأدى قيام الامبريالزم في أواخر القرن التاسع عشر الى ظهور «حجج» و«براهين» جديدة تدعم ضرورة التوسع الاستعماري ولجأ ساسة الدول الامبريالية الى أساليب ماكرة لتبرير سياسة التوسع الاستعماري أمام شعوبهم حيث أخذوا يصورون القضية كما لو ان هذا التوسع ضرورة لا غنى عنها لرفاه مجتمعاتهم وتوفير الرزق لسكانها المتزايدين ، من ذلك مثلاً ما أكده جوزيف تشمبرلن أحد أبرز الساسة البريطانيين

في تلك المرحلة حين قال في ١٨٨٨ : « هل هناك رجل عاقل يعتقد بأن الحشد الكبير من السكان في هذه الجزر [البريطانية] يمكنه أن يعيش ليوم واحد إذا أبعدنا عن أنفسنا البلدان التابعة الواسعة التي تتطلع الآن الينا من أجل الحماية والمساعدة والتي هي الاسواق الطبيعية لتجارتنا ؟ إذا كان مسكناً في الغد ، كما يريد بعض الناس بوضوح ، أن نقلص بجرة قلم الامبراطورية البريطانية بحيث تقتصر على المملكة المتحدة فان نصف سكاننا في الاقل سيموتون جوعاً »[٣٢] . لقد شارك تشمبرلن في نظراته هذه الكثير من ساسة الدول الامبريالية في تلك المرحلة منهم على سبيل المثال لا الحصر الرئيس الامريكي ثيودور روزفلت الذي كان يدعو لنظرية عنصرية تقول بتفوق الانجلو ـ ساكسون على الشعوب الاخرى . لقد كتب روزفلت هذا يصف مرحلة نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بقوله : « ... وقد اعتبر في الوقت نفسه بانه لا توجد أي أمة مهما كانت درجة أهميتها تستطيع أن تستغني عن المستعمرات لقد أصبنا برغبة عارمة في انشاء المستعمرات . لقد قررنا أن نصبح نحن أيضاً امبراطورية وتأخذ على عاتقنا « عبء الرجل الابيض »[٣٣] .

---

(32) Quoted in Bernard Semmel, Imperialism and Social Reform, English Social-Imperial thought 1895-1914. London 1960, P. 85.

(33) Brutents, "Kolonii i Kolonialnaya Polutika"... str. 534.

وفي الوقت نفسه اتسعت في تلك المرحلة النزعة العنصرية حتى كادت أن تتحول الى فكر رسمي في الكثير من الدول الامبريالية وأصبح التغني بالقوة وتمجيدها نغمة شائعة في الكتابات الاوربية . في هذه المرحلة مثلا أكد فيري الذي ترأس الحكومة الفرنسية أكثر من مرة في نهاية القرن التاسع عشر : « ان الاجناس العليا تمتلك حقوق الافضلية تجاه الاجناس الدنيا لانها تضطلع بمسؤولية تحضير الشعوب الدنيا »[٣٤] علماً بأن فيري هذا كان من أبرز دعاة سياسة التوسع الاستعماري الفرنسي فحكومته هي التي استولت على تونس في ١٨٨١ وهي التي بدأت حروباً توسعية في مدغشقر وفي الكونغو والنيجر ، كما انه كان صاحب المبادرة في الحروب التوسعية التي شنتها فرنسا ضد فيتنام في ١٨٨٣ — ١٨٨٤ التي أدت الى قيام الحرب بين فرنسا والصين في ١٨٨٤ — ١٨٨٥ . لقد ظلت النزعات العنصرية سائدة في الفكر والممارسة الاستعماريين في بداية القرن العشرين وبلغت ذروتها في المانيا النازية كما احتلت مكاناً بارزاً في اليابان وايطاليا أيضاً .

وتتيجة للتغييرات التي حصلت في الوضع الدولي بعد الحرب العالمية الثانية وبسبب اشتداد حركة التحرر الوطني أصبح من المتعذر على الدول الاستعمارية وعلى مفكري

(34) Ibid.

الامبريالية اللجوء الى العنف الصريح ففقدت العنصرية المكشوفة معناها كسلاح لتبرير السياسة الكولنيالية ولهذا فقد تخلى عنها هؤلاء المفكرون وحتى إذا ما لجأ اليها بعضهم فانه يقدمها بشكل مغلف • لقد غير مفكرو الاستعمار في هذه المرحلة شعاراتهم وأخذوا يحاولون تبرير «المهمة التحضيرية» الملقاة على عاتق الدول الامبريالية بقولهم ان الاستعماريين ينقلون الى البلدان المستعمرة (بفتح الميم) «الانظمة الطبيعية» السائدة في اوربا والولايات المتحدة ويقضون على التجزئة السياسية السائدة في تلك البلدان ويخلصونها من العزلة ويبذرون فيها «الخير» والنزعات «الانسانية» و «يطورون» التعليم ويعودون تلك البلدان على استخدام التكنولوجيا المعاصرة • كذلك طرحت في هذه المرحلة تبريرات جديدة للسياسة الاستعمارية ترتبط بشكل وثيق بالعنصرية ونعني الاتجاهات الجيوبوليتيكية التي تبرر السياسة الاستعمارية بما يسمى بـ « المجال الحيوي » وبطروحات مفادها ان الخصائص الجغرافية تملي على الدول الكبيرة ضرورة التوسع • والى جانب ذلك كان البعض يبرر التوسع الاستعماري بنظرية مالثوس حول زيادة السكان في حين يبررها البعض الآخر بضرورة تجنب انفجار التناقضات الاجتماعية في المتربولات مؤكدين على ان للثروات الطبيعية الموجودة في

المناطق المستولى عليها « أهمية حيوية » بالنسبة لوجود الحضارة الغربية وتقدمها •

وبما ان ظروف انهيار النظام الكولنيالي لم تعد تسمح لمفكري الاستعمار المعاصرين بالدفاع علنا عن السياسة الكولنيالية نجدهم يتحولون الى تبرير الاستعمار الجديد ويغلفون دفاعهم عن الاتجاه الامبريالي « بالدفاع » عن الديموقراطية في الوقت الذي يواصلون فيه الحديث عن « تقدمية » السياسة الكولنيالية ولكن أغلبهم في الوقت الحاضر ، لا يقصدون بذلك التدليل على الشرعية التأريخية للسياسة الكولنيالية وإنما يعنون فقط النتائج « الايجابية » التي نجمت عنها بشكل موضوعي عن تلك السياسة • وفي الوقت نفسه يسعى بعض هؤلاء المفكرين لان يضع حركة التحرر الوطني نفسها في خدمة السياسة الكولنيالية وذلك بتصويرها على انها نتيجة للاتصال السياسي والاقتصادي بالغرب • والى جانب هؤلاء وأولئك هناك من يؤكد بأن الاستعماريين خرجوا من مستعمراتهم « طوعاً » وانهم « الغوا من تلقاء أنفسهم » امبراطورياتهم الاستعمارية كما ان بعض المؤرخين الانجليز يطرح نظرية « امبراطورية بلا امبريالية » محاولين البرهنة على ان « امبريالية التوسع والاستيلاء » هي من خصائص الماضي التي لم يعد لها وجود زاعمين في هذا

انجان بان السلطات الكولنيالية الانجليزيـة أصبحت ابتداء من الربع الثاني من القرن التاسع عشر تهتم « برفاه » الهنـد وبان بريطانيا جلبت للهند « السلام والنظام » •

ولا بد أن نشير الى انه وجد في دول الاستعمار الـى جانب هـؤلاء المفكـرين الذين ابتدعـوا هـذه النظريات الاستعمارية وحاولوا أن يبرروا بها الاستعمار والسـيطرة الاستعمارية ، مفكرون آخرون ، انتقدوا التوسع الاستعماري وأدانوا السياسة الكولنيالية وفضحوا الاساليب اللا انسانية التي اعتمدها المستعمرون في مستعمراتهم وحاولوا البرهنـة على ضـرر السياسـة الكولنيالية على شـعوب المتربولات نفسها •

أهم المصادر

أولا : العربية والمعربة :

١ ـ الاستعمار اليوم ، ترجمة كمال عبدالحليم ، دار الفكر ، ط٢ ، ١٩٥٨

٢ ـ الاستعمار الجديد وافريقيا في السبعينيات ، دار التقدم ، موسكو ١٩٧٩

٣ ـ جان ديپوا ، الاستعمار الايطالي في ليبيا طرقه ومشاكله ، ترجمة الدكتور هاشم حيدر ، دار ليبيا للنشر والتوزيع ، بنغازي ١٩٦٨

٤ ـ جلال يحيى ، الاستعمار والاستغلال والتخلف ، الدار القومية للطباعة والنشر ، الاسكندرية ١٩٦٥

٥ ـ جمال حمدان ، استراتيجية الاستعمار والتحرير ، دار الشروق ، بيروت ـ القاهرة ط١ ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م

٦ ـ جون ستراتشي ، نهاية الاستعمار ، ترجمة حسين الحوت ومحمود حسن حلمي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة (د٠ت) .

٧ ـ دبشان هوبير ، نهاية الاستعمار ، ترجمة زهير السعداوي، دار بيروت ١٩٥٣

٨ ـ ر٠ج٠ هاريسون تشرش ، الاستعمار الحديث ، ترجمة دولت صادق ، القاهرة (د٠ت) ٠

٩ ـ زاهر رياض ، استعمار افريقيا ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م

١٠ـ زاهر رياض ، الاستعمار الاوربي لافريقيا في العصر الحديث ، مكتب الجامعات للنشر ، القاهرة ١٩٦٠.

١١ـ ستيوارت سمث ، الاستعمار الامريكي الجديد في افريقيا ترجمة احمد فؤاد بلبع ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ـ ١٩٧٨ .

١٢ـ عبدالعزيز فهمي ، الاستعمار عدو الشعوب ، القاهرة (د.ت)

١٣ـ غي دو بوشير ، تشريح جثة الاستعمار ، ترجمة ادوار الخراط ، دار الآداب ، بيروت ١٩٦٨

١٤ـ فاخروشيف ، السياسة الاستعمارية بعد الحرب العالمية الثانية ، دار التقدم ، موسكو (د.ت)

١٥ـ فيتوني ، البلدان المتخلفة وسياسة الغرب الاقتصادية ، دار التقدم ، موسكو (د.ت)

١٦ـ كوامي نكروما ، الاستعمار الجديد آخر مراحل الامبريالية ترجمة عبدالحميد حمدي ط٢ ، دار القاهرة للطباعة والنشر ، ١٩٦٦

١٧ـ محمد العزب موسى ، « أساليب الاستعمار الالماني الجديد » ، الكاتب ، العدد ٥١ ، السنة الرابعة ، يونيو ١٩٦٥

١٨ـ محمد عوض محمد ، الاستعمار والمذاهب الاستعمارية ، دار الكتاب العربي بمصر (د.ت)

١٩ـ والتر رودني ، اوربا والتخلف في افريقيا ، ترجمة د.احمد القصير ، الكويت ١٩٨٨

٢٠ـ هاري ماجدوف ، الامبريالية من عصر الاستعمار حتى اليوم ، مؤسسة الابحاث العربية ، بيروت ١٩٨١

ثانياً ـ الاجنبية :

1 — Akademiya Nauk SSSR, Istitut Nauchnoy Informatsii Po Obshchestvennym Naukam, Vneshneekonomicheskaya Ekspansiya Imperialisticheskikh Stran., Sovremennye Formy i Napravleniya-Referativnyy Shornik Moskva 1984.

2 — Akademiya Obshchestvennykh Nauk Pri tsk KPSS, Borba Narodov Protiv Kolonialisma, Moskva 1965.

3 — Brutents K.N. "Kolonii i Kolonialnaya Politika", Sovetskaya Istoricheskaya Entskiopediya, T. 7, Moskva 1965.

4 — Brutents K.N., Novaya Forma Poraboshcheniya Narodov, Moskva 1969.

5 — Fetter Bruce (ed.), Colonial Rule in Africa. Readings From Primary Sources, Madison Wisconsin 1979.

6 — Fieldhouse D.K. "Colonialism" Encyclopedia Americana, Vol. 7, 1980.

7 — Gann L.H. and Duignan P. (ed.) Colonialism in Africa 1870-1960.
— Vol. 1 The History and Politics of Colonialism 1870-1914, Cambridge 1969.
— Vol. 2 The History and Politics of Colonialism 1914-1960, Cambrdge 1970.

8 — Genin I.A., "Portugals Kaya Gviney o-va Zelenovo mysa o-va San-Tome i Prinsipi" v Akademiya Nauk SSSR, Institut Afriki, Noveyshaya Istoria Afriki, Moskva 1968.

9 — Hobson J.A., Imperialism. A Study London 1948.

10 — Iskenderov A.A., Natsionalno-Osvoboditelnoe dvizhenie. Problemy, Zakonomernosti, Perspektivy, Moskva 1970

11 — Leontev L. "Imperialism", Sovetskaya Istoricheskaya Entsklopediya, T. 5, Moskva 1964.

12 — Lichtheim, G., Imperialism, Pelican Books, 1974.

13 — Modrzhinskaya E.D. "Neokolonialism", Sovetskaya Istoricheskaya Entsklopediya, T. 10, Moskva 1967.

14 — Modrzhinskaya E.D., Raspad Kolonialnoy Sistemy i Ideologiya Imperialisma, Moskva 1965.

15 — Moon P.T. Imperialism and World Politics, New-York 1947.

16 — Panov V.P., Evolyutsiya Ekonomicheskikh Form Kolonialisma, Moskva 1969.

17 — Prihytkovskiya L. N., Fridman L.A. "Serra-Leone" V Akademiya Nauk SSSR, Institut Afriki, Noveyshaya Istoria Afriki, Moskva 1968.

18 — Schumpeter J. A., Imperialism and Social classes, translated by Heinz Norden, New-York 1951.

19 — Semmel B., Imperialism and Social Reform. English Social-Imperial thought 1895-1914, London 1960.

20 — Toskin L.F., "Kolonizatsiya" Sovetskaya Istoricheskaya Entsklopediya T.7, Moskva 1965.

21 — Vakhroshev V.V., Natsionalno-Osvoboditelnoe dvizhenie Protiv Neokolonialisma, Moskova 1986.

22 — Winks R.W. "Imperialism" Encyclopedia Americana, Vol. 14, 1982.

وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة
بغداد ١٩٨٩

الغلاف : رياض عبد الكريم

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

السعر دينار واحد